خلاصة الأحاديث

عبد السلام البسيوني

فهرس الموضوعات

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

توزيع

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة - ش.م.م

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب

ت : ٣٤٧٢٩١ / ٣٥٦٢٢٠ / ٣٥٦٢٣٠

المكتبة : أمام كلية الطب ت : ٣٤٧٤٩٣ ص.ب : ٩٣٠ تلكس DWFA UN 24804

الإهداء

إليك أيها الداعية والمعلم الكبير

صلاح أبو إسماعيل

ترحمًا على مجالسك المنورة الثرة

وشهادة أنك كنت مشعلاً هاديًا

وقلبًا حانيًا ولسانًا لا يخشى في

الحق لومة لائم

عبد السلام البسيوني

مُقدّمة

كتبها فضيلة الداعية الكبير الشيخ صبحي ابو اسماعيل حمد الله

● عرفت الأخ المفضال الشيخ عبد السلام البسيوني واسع الأفق ، بعيد النظر ، صادق الفراسة ، يتلطف لبلوغ غايته في خدمة دينه .

أما قلمه فقد رأيته ينبه إلى أمرٍ قلّما تنبه له غيره . وهو يردّ عن الإسلام آراء من يخلطون بين انحرافات المنحرفين وأحكام الإسلام ، وينبه بإلحاحٍ وإصرارٍ على ضرورة أخذ الإسلام من منابعه المصفاة المطهرة النقية ، لا من واقع الخطائين .

ذلك بالنسبة لخطابه الموجه إلى غير المسلمين .

ثم يعبر الحدود إلى داخل الدائرة الإسلامية فيحذر من السلبية ، ويدعو إلى الإيجابية ، ويعرف للعلماء حقّهم في التوقير والتقدير والحوار والمناقشة والدعوة إلى صراط الله المستقيم .

ثم يتوجه إلى العلماء الذين لهم من توقيره قدرٌ خاص فينادي بضرورة تسليط الأضواء عليهم ، ليكونوا دائمًا في موضع القدوة وموطن القيادة .

ويتجه إلى الحكومات كذلك على أساس أن الله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، فيعترف لهم بفعالية دورهم ، ويتمنى عليهم أن

يكون هم دورهم لإعزاز دينهم . كل ذلك وغيره تقرؤه في أسلوب فضيلة الأستاذ الشيخ عبد السلام البسيوني

فإذا ما رحت تقدمه أحسست أنك قدمت السطور بما فيها ، وبقي إحساسك بما وراء السطور من عزم وثاب ، وتطلع إلى غدٍ مأمول ، وحرصٍ جمٍّ على بلوغ الغاية .

وإذا أتيح لك أن تجالسه وقد حمي وطيسُ النقاش فإنك واجدٌ فيه الماء الذي يطفىء النار ، والصدر الذي يَسَعُ الرأي المخالف ، والثغر المبتسم ، والوجه الطلق الباشّ .

كم أتمنى - بل وكم أرجو - مزيدًا من العطاء عبر هذه المواهب التي أكنّ لصاحبها خالصَ الود ، وأصفى الحب ، وصادق الإخاء .

صلاح أبو إسماعيل
من العلماء

الدوحة
٥ /٤/ ١٩٩٠م
٢٠/٩/١٤١٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه

وبعد

فهذه خواطر متفرقة ، وإضاءاتٌ على طريق الواقع الدعْوي الذي يعاني من حُفَرٍ كثيرة :

- بعضها يحدث بسبب نقص الفقه ، وحمية الشباب .
- وبعضها يحدث نتيجة للرؤية القاصرة التي تُصدِر الحكم نتيجة عصبيةٍ للذات أو الانتماء ، دون مراعاةٍ للواقع ، أو ملاحظة لما يحفّ الساحة الدعوية من مشاكل ، ودون عذر للشباب الذي تلتهمه المصاعب والمكائد .
- وبعضها يُحفر لنا بأيدي خصوم الإسلام وشانئيه ، لتتأخر المسيرة ، وتختنق الصحوة .

ولقد دوّنت هذه الملاحظات والخواطر تنبيهًا إلى الفروق العملية بين

فقه الواقع **وفقه الأوراق** ، وتحذيرًا من الافتتان بالنفس ، أو المنّ على العمل الإسلامي بسابقةِ جهادٍ .

ولقد سبق أن نشرت هذه الخواطر بصحيفتي الراية والعرب تحت عنوان : لحظة تأمل . ولعل الله تعالى أن ييسر الاستمرار في طرحها .

وأملي أن يجد القارىء الكريم في هذه الصفحات شيئًا ذا بال ، وأن يحفظ الله تعالى عليّ منها وريقاتٍ تفيدني في قبري ، ويثقل بها ميزاني .

وأعتذر إلى الله تعالى ثم إلى قارئي الكريم من تقصيرٍ يجده في هذه الإضاءات ، وأن يدعو الله تعالى لي ولوالديّ ، وأن يجتهد في الدعاء أن يعزّ الله المسلمين ، وأن ينفخ فيهم روحًا افتقدوها لمّا تنكبوا طريق سلفهم الصالح ، وتخبطوا يبحثون عن النور بين القمامات الفكرية التي رفعهم عنها النوران : الكتاب والسنة .

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا

والحمد لله رب العالمين

عبد السلام البسيوني

الدوحة في ذي القعدة ١٤١٠هـ

يونية ١٩٩٠ م

تخلفنا .. وصناع الأكاذيب

● من المفاهيم المغلوطة التي شاعت على ألسنة بعض مشايخنا عفا الله عنا وعنهم ، ثم سرت كالوباء ، وباتت يستدل بها كلُّ أحد كأنها حقيقة مسلّمة ، ويستفيد منها خصوم الإسلام وأعداؤه اللّد ، الذين يتسترون أحيانًا

ببعض المقولات التي تصدر عن حرص يفسده الانفعال والتعميم والتسرع ، مقولةً لا أتصور أنه يعيشها في الواقع أحد من أبناء القرن العشرين ، ونصيبُها من الصدق كنسبة الماركسية إلى الصواب والهداية لرضاء الله تعالى .

هذه المقولة هي الزعم بأن الشباب يهتمون بالنوافل والقشور ، وأن عليهم أن يهتموا بالقضايا الرئيسة ، لأننا متخلفون مهزومون ، وأن النظرة الهامشية للأشياء جعلتنا في ذيل الأمم !

وهذا تعميم مضحك ، ومغالطة سخيفة تشبه - في رأيي - دعوى من يدعي أن هناك من سيطفىء الشمس بكوب ماء .

● **هل الشباب الذي يهتم بالنوافل حقًا هو سبب تخلف الأمة ؟!**

أو ليست هذه دعوى تقع في باب الحق الذي يراد به الباطل . . أو الباطل الذي يَتَقَنَّعُ بالحق ؟!!

إن الاتكاء على أعناق الشباب المسلم ، ونسبة كل العيوب إليهم أمر بات مألوفًا . . لكنّ تحميلهم تبعة تخلف الأمة استخفاف بالعقول ، وتزوير للحقائق ، وظلم ما بعده ظلم . بل هذه فرية أطلقها شيطانٌ لتكـون **مشجبًـا تعلق عليـه جنايات الاستبداد السياسي** ، والتخلف التعليمي ، ونقص الإمكـانات ، وتسرب فوائض الأموال ، وهروب العقـول المبـدعة ، ونقص البنية التقنية الأساسية ، وغياب التخطيط للمستقبل .

وأكـذوبـة لتـبرئـة قصـور النظم ، وتَغُوّل أثرياء الأزمات ، وهيمنة التجهيل المنظّم ، ثم تحميل ذلك للمتنفلين الذين يتمسكون بالقشور !!

هل هؤلاء الشباب هم سبب انتماء دولنا للعالم الثالث ، وتصنيف عدد من ديار المسلمين في قائمة أشد البدول فقرًا ، كأفغانستان واليمن وبنجلاديش وموريتانيا وغيرها ؟!

لقد رصد الدكتور زغلول النجار أسباب التخلف العلمي والتقني في بلاد المسلمين فلم يذكر منها الشباب المتمسك بالنوافل . . بل كان مما ذكر :

★ **تمزق العالم الإسلامي إلى خمسين دولة** ، وبقاء أجزاء منه محتلةً يتنكر لها حتى المسلمـون أنفسهم ، إضـافة إلى تشتيت المقومات والطاقات البشرية . . ولا أعتقد أن للشباب دورًا في ذلك .

★ **تفشي الأمية بين البالغين** . . ولا دخل للشباب المسلم في هذا ، بل المعتقد أنه بعث في الأمة روحًا علمية افتقدتها منذ زمن .

★ إهمال الدراسات التقنية بسبب النظم التعليمية المتخلفة ، والسبب في هذا هو سيطرة العقليات «الدنلوبية» على أزمّة التعليم لا الشباب المسلم المتمسك بالنوافل .

★ انعدام التخطيط والتنسيق بين المؤسسات .

★ جو الاستبداد السياسي الخانق .

★ الإحساس بالانهزام الحضاري والتخلف عن العصر ، مع غياب البيئة الصالحة للتقدم العلمي والتقني .

أفهذا كله بسبب الشباب الذي يتمسك بالنوافل ؟ !!

إن من أيسر الأمور على الرجل المنصف أن يراجع قوائم المتفوقين في الجامعات وسيجد أن أغلبهم من هذا الشباب الملتحي المجني عليه .

وسوْق الدليل أولى من إرسال الكلام دون بينة .

● لقد عمل هذا الشباب المسلم الرجعي في مهنة الطب ، فلم نسمع حتى الآن أنهم قرروا إلغاء علم الجراحة وإحلالَ الحجامة والفصد مكانه !!

- ولم نسمع أن طبيبًا من أولاء قرر تأليف كتاب في علم الكي بدلاً من استخدام الليزر في الجراحة !!

- ولم نسمع أنهم ألغوا علم التخدير ، واستحدثوا - بالرجوع إلى المأثورات - ضرب المريض على أمّ رأسه حتى يغشى عليه !!

● ولقد عمل هؤلاء مهندسين فلم يبلغنا أنهم كفّروا بناة نواطح السحاب ، وطالبوا بإقامة كرسي جامعي لعلوم بناء الخيام ، وشد الطنب

والعمد ، ودق الأوتاد !!

● **ولقد اقتحموا ميدان الاقتصاد فلم يقرع أسماعنا أنهم عادوا لبيع الحصاة ، أو المقايضة كما كان يفعل الفراعنة !!**

إن التشويش على الشباب المتنفل مُركز ومستمر . . ويقع فيه بعض أقطابنا بحسن نية ، أو نتيجةَ نقلٍ لم يتبينوا صحته ، أو إشاعةٍ يريدون أن يقيموا عليها بناءً من الوهم .

وإن المستفيد من مثل هذه المقولة الملوثة خلقٌ من همهم أن يفرضوا وصاية على الملايين ممن يريدون أن يصححوا مسيرتهم إلى الآخرة عبر الدنيا .

خلق يكرهون الإسلام لكن مصلحتهم العاجلة في إظهارهم الحرص عليه وحمايته .

ولعل النتائج التي أعلنتها وكالات الأنباء أشارت إلى أن **الشعوب تريد هؤلاء المتنفلين ، وتحبهم ، وتعطيهم ثقتها** .

ففي الجزائر فاز الملتحون المتجلببون باثنين وثمانين في المائة من الأصوات أمام الحزب الحاكم الذي حصل على ١٧٪ فقط من الأصوات ـ كما أشارت جريدة الراية القطرية ـ فما معنى هذا ؟

وفي الأرض المحتلة فاز الإسلاميون من حماس بما يزيد على ستين بالمائة من كراسي البلديات المحلية رغم ما بذله ممثلو المنظمة والتيار اليساري .

ناهيك عن الأردن . . ومصر . . وتونس وغيرها .

وهذه النتائج التي واكبها سقوط التوجهات اليسارية والعلمانية (حتى إن رئيس الحزب الشيوعي الأردني لم ينجح في دائرته الشخصية كما قرأت !!) مؤشر على أن الاستعمار الفكري يتقنّعُ بالتشويش والاتهامات ، **ويستفيد من القذف والتحقير الموجه إلى الشباب «المتنفل» لتحميله تبعة التخلف والارتكاس الحضاري الذي عانته وتعاني منه الأمة منذ زمن بعد أن تسوّلت الهشيم الغربي ، وظنت أن اقتياتها من الفضلات الفكرية الغربية أو الشرقية سوف يدفع في جسدها الحياة التي فقدتها لما تركت كتاب ربها سبحانه ، وتنكرت لسنة نبيها ﷺ .**

فيا قاذفي الاتهامات :

رحمةً بالشباب المسلم . . فليس هو ـ والله ـ سبب تخلف الأمة ، وليس هو من جعلها في ذيل قائمة الفقر .

بل ابحثوا عن الأسباب الحقيقية قبل أن يحاسبكم الله تعالى على الظلم والكذب . . وإيقافًا لمسلسل التيه الذي يعانيه أبناؤكم ممن اختاروا سبيل العمل للإسلام . .

فهل أنتم منتهون ؟!

عمامة نابليون

● لست أوافق كثيراً من الناس في قولهم إن الغزو الفكري بدأ مع الحملة الصليبية التاسعة أيام القديس لويس ولا مع بدايات حملة «مولانا» محمد نابليون أو «سيدنا» عبد الله مينو .

لست أوافقهم إلا إذا أرادوا بذلك المرحلة الحالية من مراحل «سَرْطَنَةِ» العقلِ الإسلامي بفيروس عبادة الغرب ، والسقوط في أحابيله الغَرور .

فمحاولات ضرب الإسلام من الداخل ، وَكَيِّه بأيدي أبنائه «البررة» أمر قديم قدم الإسلام نفسه . . وبالتحديد في الحقبة الثانية من العهد النبوي .

فقد بدأ مبكرًا مع وجود يهود «خيبر» ومنافقي «يثرب» الذين كان زعيمهم عبد الله بن أبيّ يقف في المسجد كل جمعة يحث الناس على اتباع رسول الله ﷺ ، وينبههم إلى فضل الله تعالى عليهم أن بعث منهم الرسول النبيَ الأمي . . فإذا خلا إلى شياطينه عضّ أنامله من الغيظ ، وسلك كل سبيل فيها الكيدُ للرسول النبي الأمي . واستمر مع السبئيين الذين أوقدوا في المسلمين فتنة كان وقودَها ـ كما قال الشاعر ـ جثثٌ وَهَامُ .

ودامت مع الحلولية والباطنية وفقهاء السلاطين ، مرورًا بالقديس لويس الذي كان اسمه يطلق على بنيان تعليمي شامخ في بلدي ، ثم بمحمد نابليون بونابرته ، الذي كتب إلى المصريين بعد احتلاله الإسكندرية كما يروي الجبرتي :

[بسم الله الرحمن الرحيم . . لا إله إلا الله ، لا ولد له ، ولا شريك له في ملكه :

من طرف الفرنساوية المبني على أساس الحرية والتسوية :

قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم . . فذلك كذبٌ صريحٌ فلا تصدقوه ، وقولوا للمفترين : إنني ما قدمت إليكم إلا «لأخلص حقكم من أيدي الظالمين» وإنني أكثرُ من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى «!!» وأحترم نبيه والقرآن العظيم (!!) .

أيها المشايخ والقضاة والأئمة و «الجريجية» وأعيان البلد :

قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضًا «مسلمون مخلصون» وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في «رومية الكبرى ، وخربوا فيها كرسي البابا (؟!) الذي كان دائمًا يحث على محاربة الإسلام ؟!!]

تصوروا . .

واستمر المنهج السرطاني فاهتدى به أتاتورك الذي كان يصحب في حلّه وترحاله ـ أول عهده ـ إمامًا ومؤذنًا لشدة تبتله ومحافظته على الصلاة ؟!!

ويحيا الجوَّ نفسه مخلوقاتٌ تعادي الله ورسوله ، وتحارب الإسلام

جهـرةً ، بينـما يتكلمـون كأنهم الأوصياء على الإسـلام ، وحمـاتُهُ من «الغلاة» ، وأوضح مثلٍ على ذلك **نجيب الله** الذي يشنّ حربًا شرسة على شعبه المسلم ، ثمّ **يصدر** ـ من باب التعمية والمخادعة ـ **قانونًا بمعاقبة المفطر في رمضان وتارك صلاة الجمعة** !! وككثير من الثوريين الذين تفننوا في ترويع المسلمين مع حرص إعلامهم على أن يظهرهم ـ ولو مرة في السنة ـ في صلاة جمعة أو وهم يمسكون بمصحف ، وآخرهم سياد بري الماركسي المعروف . .

ويعيش معنا من البشر صنف غريب يقتفي خُطى ابن أبي ، ومحمد نابليون ، ومصـطفى أتـاتـورك . . يلبس عمامـة الـوعظ يخفي تحتهـا المنجل ، وينفعل بالإسلام وللإسلام فإذا نحى وجهه قهقه ساخرًا ولاعناً .

تراه يبكي ضياع الدين وغربته ، وهو يضرب بمعاوله الحقود أسس الإسلام الذي تمالأت عليه الذئاب .

● **إذا ذكرت لهم تحكيم شرع الله صرخوا فيك** : ويلك . . ألا تعرف الرحمة ؟! ألا ترى من الإسلام إلا قطع الأيدي والأرجل وإلقاء أهل الذمة المساكين في البحر ؟!

أليس الإسلام مطبقًا . . والمساجد مفتوحة . . والدفن لا يزال يتم على الطريقة الإسلامية ؟!

● **وإذا ذكرت أمامهم التكاليفَ الشرعية قالوا :**

ويحكم . ألا ترون إلا جانب المشقة ؟ ! لماذا تعنتون الناس ؟ إن الإيمان هو التصديق بالقلب . . وما دامت القلوب مؤمنة مطمئنة محبةً لله تعالى ، فدعوا العباد لرب العباد !!

● **وإذا ذكرت أمامهم المعاملات الإسلامية أرغَوا وأزبدوا** ، واتهموك بضيق العَطَن وبلادة الذهن التي تحرّر منها المتفتحون من أهل الاجتهاد وأساطين النظَر ـ من أمثال عبد الله العلايلي ومحمد خلف الله والجابري وعركون وفرج فوده وسعيد العشماوي ـ الذين أدركوا سعة الإسلام ومرونة معاملاته . . فخذ برأيهم ودع عنك رأي المتشددين ممن يحرمون الربا ولا يرون من الإسلام إلا الضيق والتعسير فهم ـ كما وصفتهم بعض الأقلام ـ [منافقون يملأون الدنيا ضجيجًا بلا طحن ـ خارجون عن إطار الموضوعية ـ منحرفون إلى مسارات الاتهام الكاذب والتجريح الشخصي ـ سدنة متاجرون بالدين ـ مزيفون مضللون ـ أهدروا دم المفتي بعد أن أهدروا اجتهاده وعلمه ومكانته العلمية والدينية ـ نافقوا جماعات التكفير والهجرة . . و . .]

● **وإذا ذكرت أمامهم مكارم الأخلاق ذموا التزمت الذي لا يرى فسحةَ الحياة ويحظر مباهجها . . وتحت هذه المقولة يبتغون إسلامًا مروضًا خاليًا من القيم ومن الحياء .**

تمامًا كما فعلت الكنيسة التي جوزت لأتباعها الخمر وزنا المحارم والاتجار بالأعراض ويبقون مع ذلك صالحين سواء منحوا صكوك غفران أم استغفروا هم على طريقتهم !!

● وإذا ذكرت أمامهم العقيدة قالوا إنك تضيّق ما وسعه الإسلام . . فللناس أن يعتقدوا ما يشاءون . . إذ من الخبل أن تكون الجنة وقفًا على المسلمين فقط !!

بل هي لكل صالح يؤمن بالله . .

ولو كان يهوديًا . . أو نصرانيًا . . أو بوذيًا أو حتى وثنيًا طوطميًا . . (هكذا والله) .

إنه شكل جديد من أشكال النفاق ، مستشرٍ استشراء الداءِ يسري خفيًا . . حتى إذا تمكن لم يَقْنَعْ بأقل من الإجهاز على حياة المريض المبتلى

ويأبى الله إلا أن يتم نوره . . ولو كره الكافرون . .

● من عجائب الزمان أن يطلب الأمنَ عاقلٌ من عدوه ، وأن يلوذ بمن يقصد إلى إفنائه والقضاء عليه !!

ومن الغرائب أن نقع في غرام من يبغضوننا ، وأن نتشبع بما في أيدي خصومنا من طعام مسموم ، نتلهف لتذوقه ، وندّعي أنه أشهى الطعام وأطيبه !!

ومن المدهشات أن نجد بعض أبناء هذه الأمة ، وقد راحوا يطلبون دراسة العقيدة ، وفهم السنة المشرفة ، وتأويل القرآن من جامعات الضرار ، ومراكز الإرصاد والتفريق !!.

ولا يخفى على ذي بصيرة أن كثيرًا من أولئكم عادوا إلى ديارهم رافضين للفكر الإسلامي ، ناقمين على ثوابته وأصوله ، يعملون ـ تحت مسمى البحث ـ على إسقاط العَمَد التي قام عليها البنيان الفكري المميز للإسلام .

● فتجد قزمًا من الأقزام ينكر السنة ، ويتطاول على مقامها ورجالها الأساطين !!

● وتجد دعيًا يتطاول على عقيدتنا الشماء ، ويصمها ـ كالمستشرقين اليهود والنصارى ـ بأنها اقتبست ـ كالحيوانات القمّامة ـ من اليهودية والنصرانية .

● وتجد موتورًا يخرج علينا بما أسماه الإسلام الشعبي والإسلام الثوري ، والإسلام المدرسي والإسلام البطريركي . . ويجعل من جملة الإسلام الشعبي الصلاةَ والصيامَ والحج والعقيدة !! ويصفها بأنها ركام زائف ، وأن الناس أحوج ما يكونون إلى إسلامه «الثوري» !!

إنه والله لمضحك أن نتسول علوم العقيدة واللغة العربية والتفسير والحديث من «خواجات» ، يصنعون لنا خواجاتٍ أقزامًا يحملون أسماء إسلامية وهم تاركون للصلوات مكشوفو العورات !!

ويبدو أن هذه الفتنة كانت لها مثيلاتٌ في التاريخ أيامَ انبهر بعضُ المسلمين بعلوم الحضارات الوثنية ، فأرادوا أن يمزجوا الإسلام بها ، ويخرجوا لنا خليطًا عجيبًا .

يقول أبو حامد الغزالي في مقدمة «التهافت» عن هؤلاء المنحرفين : «وإنما مصدر كفرهم سماعُهُم أسماء هائلة كسقراط وبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليسَ وأشباهِهم ، وإطنابُ طوائف من متبعيهم وضُلّالهم في وصف عقولهم ، وحُسن أصولهم ، ودقة علومهم الهندسية والمنطقية والطبيعية والإلهية .

واستبدادهم ـ لفرط الذكاء والفطنة ـ باستخراج تلك الأمور الخفية ، وحكايتهم عنهم أنهم ـ مع رزانة عقولهم وغزارة فضلهم ـ منكرون للشرائع والنحل ، وجاحدون لتفاصيل الأديان والملل ، ومعتقدون أنها نواميسُ مؤلفةٌ وحيلٌ مزخرفة .

فلما قرع ذلك سَمْعَهُمْ ، ووافق ما حُكي من عقائدهم طبائعهُم ، تجملّوا باعتقاد الكفر ، تحيزًا إلى غمار الفضلاء - بزعمهم - وانخراطًا في سلكهم ، وترفعًا عن مسايرة الجماهير والدهماء ، واستنكافًا من القناعة بأديان الآباء ، ظنًا بأن التكايسَ في النزوع عن تقليد الحق ، بالشروع في تقليد الباطل ، إجمالٌ .

وغفلة منهم عن أن الانتقال إلى تقليد عن تقليد خَرَقٌ وخَبَال . فأية رتبة في عالم الله أخسُّ من رتبة من يتجمل بترك الحق المعتقَد تقليدًا ، بالتسارع إلى قبول الباطل تصديقًا ، دون أن يقبله خبرًا وتحقيقًا !؟

والبُلْهُ من العوام بمعزلٍ عن فضيحة هذه المهواة ، فليس في سجيتهم حبُّ التكايس بالتشبه بذوي الضلالات .

فالبلاهة أدنى إلى الخلاص من فطانةٍ بتراء ، والعمى أقربُ إلى السلامة من بصيرةٍ حولاء» .

إنه تشخيص دقيق من «أبي حامد» لحالة الذين عافوا نور الوحي ليرتكسوا في النتن والوحل ، وتجملوا بلبس ثيابٍ غير ثيابهم ، وتحلّوْا بأخلاق غير أخلاقهم ، وتمسكوا بعوائد تخالف عوائدهم .

ثم لم يكتفوا بذلك ، بل انعطفوا على أمجادهم يهدمونها ، وعلى عقيدتهم يسفهونها ، وعلى ميراثهم ينسفونه ، وينتقون منه نتفًا وبيلة يحاجّون بها المؤمنين ليردوهم عن دينهم ، ويخرجوهم عمّا ارتضوه طريقًا موصلاً لله رب العالمين .

وآه من جَلَد الفاجر وتهاون الثقة !!

ابن حجر وابن زلط

● قال لي باسمًا[1] : سمعت آخر نكتة ؟

قلت : أضحكنا ، أضحك الله سنك . .

فقال : ذهب شابٌ من قليلي الفقه يسأل أحد العلماء عن موضع يديه في الصلاة . . على صدره . . أم فوق سرته أم تحتها .

فقال الشيخ مغضبًا : يا أخي قُطعت يداك . . ضعها على صدرك أو على بطنك أو حتى في جهنم . . الله يخرب بيتكم .

قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، لقد حان على قليلي الفقه حينٌ من الدهر كان أحدهم يبول بالمسجد ، ويأتي بعقالين أبيض وأسود ليتحقق بلونهما من طلوع الفجر . . وما كهره أحد ولا نهره ولا قسا عليه . . بل كان الرفقُ ديدنَ الصالحين وعلى رأسهم سيدنا رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي .

---

١ ـ رحم الله الشيخ الجليل ، والداعية الرفيق صلاح أبو إسماعيل . . فقد كنت سألته عن الغلطة التي تعتري بعضنا ـ شبانًا وشيبًا ـ فتنفّر وتعمق الفجوات . . فرماني بهذه النكتة . . وكان رحمه الله كثير التخلص عن طريق التنكيت ، ولولا أن الشيخ لقي ربه تعالى لما صرحت باسمه .

لقد رأيت في بعض أشياخنا جفاءً وحدّة أعظم مما عند قليلي الفقه من كل رو يبضة تافه أو غبي حيوان .

ووالله وبالله وتالله لقد سمعت عالمًا يصف مخالفًا له من المسلمين بأنه : كلب ابن كلب وخنزير ابن خنزير ؟!!

ووصف ثانٍ بأعلى صوته في مسجد ملئ بالمريدين من يقول إن الرحمن على العرش استوى على ظاهرها . بأنه ابن كلب !!

وسمعت ثالثًا من أهل الفضل يصف المسلمين بأنهم صُرَمٌ - جمع صرمة ، وهي في العامية المصرية الحذاءُ المهترىء ، والصُّرْمُ القطع ، والصرَّام بائع الخفاف أو الصُّرم - ويرمي العلماء المجاهدين بأنهم حمير ؟!!

لا شك أن المرء مهما كان حظه من الفقه والورع قد يغضب مرة ، ويفلت منه لسانه . .

ولا شك أن بعض مفاهيم (قليلي الفقه من الغوغاء التوافه) تثير الأعصاب .

لكن لا أشك لحظة - ويقرني على ذلك جمهور علماء المسلمين - أن شباب الصحوة في جملتهم أو معظمهم بخير ، ويملكون قدرًا لا بأس به من الوعي والبصيرة بفضل الله أولاً ، ثم بفضل صبر واحتمال أولاء الطيبين ثانيًا ، وثالثًا بفضل بعض الأيادي الأسية الراشدة المرشدة ، لكن يحال بينهم وبين الصراط السوي ، والتطبيق السديد بألف طريقة وطريقة .

كما لا أشك أيضًا في أن تحول بعض الدعاة إلى استخدام هذا الأسلوب بإفراط وتزيّدٍ يعبر عن خلل ، ومنهج غير سوي ، لا يرضاه الله تعالى ، ولا رسوله الكريم ، ولا صالحو المؤمنين .

إن أعظم ما منّ الله تعالى على رجل مثل الشيخ القرضاوي حبُّ عامة شباب الصحوة له وتأدبهم معه والناس شهود الله تعالى في الأرض . . ومن أهم أسباب هذا الحب عفته في الحديث . . ورقته في النصح ، وحسن سَوْقِهِ للرأي ، وجميل عرضه لمحالّ الخلاف .

ولقد قابلت من قليلي الفقه من يتطاول على العلماء ،

ومن يضع نفسه في صف ابن حجر العسقلاني (هو ابن حجر وأنا ابن زلط) !!

ومن يسب النووي[٢] رحمه الله ويكفره ،

ومن يقول إن الألباني حمار في الحديث .

وهذا يساوي عندي ـ في التطرف والغلو ـ قول من يصف المخالف بأنه كلب ابن كلب خنزير ابن خنزير ، ومن يصف جاهلاً جاء سائلاً بأنه غبيٌ صرمة .

---

٢ ـ من القواسم المشتركة والعلاقات الفارقة في فكر تيارات التكفير أنهم جرآء على الأئمة ، يكفّرونهم ـ سلفًا وخلفًا ـ ولم ينج منهم إلا الصحابة الكرام . . ولله الحمد والمنة أن هذا الغلو قد انحسر أو كاد من الساحة الإسلامية لكنهم ـ مع هذا ـ يحتاجون إلى رحمة في المواجهة ، وصدور واسعة تناقشهم وتعود بهم إلى حظيرة الجماعة المسلمة .

إنها بلطجة لا دعوة ، ومنهج يحتاج إلى إيقاف لا إلى ترويج ، وإلى نصيحة لا مجاراة ، وإلى إنكارٍ لا إقرار . .

والساكت عن الحق . . شيطان أخرس .

مرض اسمه العقلانية *

● حين يتخلى الإنسان عن منهجه ، ويفقد مواقعه الفاعلة المؤثرة ، قد يصيبه الكثير من التخبط ، والارتباك ، ويسهل تأثره بأفكار وتوجهات لا تتوائم مع أسسه العريضة ، والخطوط العامة البارزة في منهجه .

وحين يحاول إثبات وجوده ـ مع استشراء علله وبلاياه ـ يزداد تخبطًا وارتباكًا ، فيأخذ من هنا ، ويقتبس من هناك ، ويؤثر فيه خط ، كما يؤثر فيه نقيضه ، لأنه بلا حصانة من ذاته ، ولا منعةٍ من مبادئه القويمة ، فيتجذر المرض وتستشري العِلة .

● ومن المناهج الطارئة المخالفة لأصولنا الشرعية والعلمية **إعلاء العقل على النص ، وجعله حاكمًا على أصولنا التي هي الكتاب والسنة .**

ولا أعني بذلك إلغاء استخدام العقل مطلقًا ، وتحكيم النصّ مهما كانت دلالته أو درجة ثبوته ، فهذا ليس من الإسلام الذي حرر الإنسان من ضبابيات الكهنوت ، وتحكّم رجال الدين ، والعبث بمصالح عباد الله باسم الطاعة العمياء حتى لا يطرد المرء من حظيرة الإيمان .

---

* انتهينا بفضل الله تعالى من إعداد كتاب عنوانه : العقلانية : النبوة الكاذبة ونسأل الله عز وجل أن ييسر خروجه للنور .

● **كما لا أعني إلغاء استخدام العقل في التعامل مع النصوص الثوابت ، وتلقيها ببلاهة** ،وترك الاجتهاد في النظر إليها ، والاستنباط منها ، فهذا يخالف مناهج سادتنا العلماء رضي الله عنهم ، الذين استنبطوا أصلاً شرعيًا من مثل قوله تعالى ﴿**فاعتبروا يا أولي الأبصار**﴾ ومن مثل قوله تعالى : ﴿**أفلا يتدبرون القرآن ، أمْ على قلوبٍ أقفالُها**﴾ فإن فهمَ النصوص ، وبذل الجهد في الاستنباط منها ، وتفاوت الأنظار في استجلاء مغاليقها ، واستظهار خباياها ، هو ما يسمى بالاجتهاد ، هذه البذرة المباركة التي أنبتت ميراثنا الإسلامي العلمي العظيم .

● **بل إن هناك جانبًا متسعًا جدًّا ، متروكًا لعقل الإنسان ، وتغير ظروفه** ، بلا نصوصٍ تقيده ، ولا قوانين تضبطه ، بل هناك الخطوط العامة للشريعة فقط كمثل منع الضرر والضرار ، وتحريم الخبيث ، ورعاية مقاصد الشرع ، ثم بعد ذلك للناس أن يتصرفوا في شؤون دنياهم بما يناسب مصالحهم التي تختلف باختلاف الزمان والمكان والأسباب .

● **وإنما أعني بالعقلانية إلغاء النص أمامَ النَّظَرِ العقلي المجرد** (أو الهوى المجرد) **الذي يستقبحُ اليوم ما كان حسنًا بالأمس ، ويستقبحُ في وقتٍ ما كان حسنًا عنده في وقت سابق** .

وهناك مستويات ثلاثة ـ في تصوري ـ متفاوتة الخطورة والأثر ، لهذا

البلاء الذي سمي العقلانية ، ذلك المصطلح المشبوه الذي طرح ليكون في مقابلة «النص» ، وكأنهما أمران متناقضان ، إذا وجد أحدهما ذهب الآخر :

● **المستوى الأول** : وهو أخفها وأهونها ـ وإن كان جديرًا بالتأمل والاعتبار ـ وأصحابه قوم جيدون ، خيرهم كثير ، ولكن لوجهة نظر ـ تقبل أو ترد ـ يدفعون بعض السنن أو الواجبات لمصلحةٍ ـ صحيحة أو متوهمة ـ فترى بعضهم ينكر استعمال السواك أو إطلاق اللحية مثلاً ، وهؤلاء يعاب عليهم ـ كما يعيبون هم على غيرهم ـ تعصبهم لوجهة نظرهم ، واندفاعهم نحو دعمها بكل ما أوتوا ، حتى بما لا ينبغي كالسباب ، ومصادرة النوايا ، وإصدار الأحكام المندفعة العنيفة ، والأوْلى أن يَسَعَنَا ما وَسِعَ السابقين رضي الله عنهم ، فلا يفرض أحدٌ وجهة نظره ، فإن ذلك ـ أيضًا ـ قلة فقه ، واستجلاب لمقت المسلمين والعياذ بالله تعالى .

● **المستوى الثاني** : **قومٌ فيهم خير ، لكنهم سقطوا أسارى الانبهار بالتفوق الغربي أو الشرقي ، فراحوا يتهربون أو يتنكرون لبعض المفاهيم الإسلامية** ، ويلغونها ، لأنها ـ عند الفهم القريب ـ غيبية غير مشاهدة ، وتخالف المقاييس والسنن التي استطاع الإنسان التعرف عليها ، يفعلون ذلك تقريبًا بينهم وبين غيرهم ، وتضييقًا لفجوة متسعة يحاولون ردمها بإنكار مفهومات تواضعت عليها الأمة قرونًا طويلة وقامت

على صحتها أدلة من السنة الصحيحة .

وهؤلاء أشد خطأ من سابقيهم ، لأنهم ألغوا الكثير من الثوابت بالنظر العقلي المجرد ، **وبالتمادي في استخدام منهجهم يمكن تقويض الكثير من الدعائم والثوابت** ، فالذي ينكر الجن أو عذاب القبر أو السحر أو الحسد أو المعجزات الحسية ـ جملةً ـ يَسْهُل أن تنهار حصونه ، ويساقَ إلى إنكار أشياء أخرى أكثرَ حُجيةً ، أو من المعلومات من الدين بالضرورة . وأصحاب هذه المدرسة منتشرون منذ أيام الإمام **محمد عبده وفريد وجدي** ولا يزالون موجودين ، وينبع هذا التوجه في تصوري من الاجتهاد الخطأ الذي يؤدي لمثل هذا ، أو لقلة التعامل مع النصوص الشرعية ، والأساس العلمي الذي يجعل من صاحبه فريسةً لأدنى شبهة ، تستغرقه فيبادر بالإنكار والتمرد .

● وأما **المستوى الثالث** فهو أخطر المستويات وأشدها غلوًّا وتطرفًا ، **فإن أصحابه يتعاملون مع القرآن والسنة تعامُلَهم مع أي نص بشري** ـ بل ربما قدموا بعض النصوص البشرية وجعلوها حاكمة عليهما أو ضابطةً لهما ـ **ويجعلون العقل مقيِّمًا لأجدرية النص** ، فالقرآن الكريم عندهم نثرٌ من النثر يحتمل الصدق والكذب ، وسنةُ رسول الله ﷺ كلام بشري يؤخذ منه ويرد (!!) .

وقد بدأ هذا الأمر استشراقيًّا ، ثم تبناه جمعٌ من الساقطين في حب

الشرق أو الغرب كمحمد خلف الله ، ثم بلغ هذا الأمر حدّه المزعج جدًّا ـ نتيجة هيمنة هؤلاء على الوسائط الإعلامية الهامة ـ حين ظهر ما يسمى بالعقلية الوسطية التي تلغي النص تمامًا ، وترفضه إذا أرادت ، ويتحرك في نطاق هذا التيار حسن حنفي اليساري المشبوه الذي يحاول بعضهم تلميعه ودفعه رغم رفضه للميراث الإسلامي ـ فضلاً عن القرآن والسنة اللذين لا يعتبرهما حجةً كما صرح في كتابه التراث والتجديد ـ وحسين أحمد أمين الذي يتعامل مع النصوص القرآنية والنبوية كأنها «سوالف مجالس» وغير هؤلاء من الذين لا تخفي انتماءاتهم وولاؤهم للشيوعية ـ وبعضهم شيوعي رسميًّا ـ أو ولاؤهم للعلمنة ، وتبنيهم لمخططات إلغاء الإسلام من خريطة العالم العقيدية .

فهل ننتبه لوباءٍ قديمٍ جديد اسمه العقلانية ؟!

● في إطار حملة التزييف التي بدأها اليهود والنصارى محرفو الكلم عن مواضعه ، والتي لّما تنتهِ فيما يبدو بأصحاب الرايات الحمراء الزرقاء الذين يكملون مسيرة أحبار أهل الكتاب ورهبانهم . .

يتم زرع مصطلحات ذات دلالات وظلال يراد بها أن تكون سَوْط عذاب ، وخنجرًا ينغرس في أفئدة المسلمين الذين يتلمسون طريقهم نحو بعث إسلامي رشيد ، في طريقٍ مظلمةٍ ، ملأى بألغام التغريب والتشريق ، والانحرافات البهائية والقاديانية ، والمكر الصليبي واليهودي ، والكيد العلماني الماسوني .

في هذا الإطار بدأت حملة دعاة الاستنارة ، من متسولي الهشيم الغربي ، بزرع مصطلح التطرف والأصولية والسلفية المستنيرة . ثم عمّقوا جهودهم بإسقاط المصطلحات النصرانية البحتة على الإسلام . فتكلم المتفرنس محمد عركون عن الإسلام الأرثوذكسي ، والكهنوت الديني «الثيولوجية» وأسطورية الخطاب الديني «الميثولوجية» والخطاب الأيديولوجي . . الخ .

وأدخل على كتاب الله والسنة الموحاة المقاييس السوسيولوجية والأنثروبولوجية والألسنية والفلسفية والتاريخانية . . و . . و . .

ومـلأ هو وأضرابه مقـالاتهم وبحـوثهم في الإسـلام بأسـماء فخمة ضخمة ، يرهبون بها أعداء التغرّب وأعداءهم ، فرفعوا ذكر ماركس وليفي شتراوس وباشلار وألتوسير وفوكو وبروديل وغودولي ورينيه جيرار . . و . . و . .

فإذا ما جلت في أثنـاء كتاباتهم انبهرت بجعجعة مدوية ، وطنطنة خلابـة ، ثم ما تلبث ـ بعد شيء من التروي ـ أن ترى طرف العباءة الحمـراء ، أو تلمح واحدًا من أضلاع النجمة السداسية اللعين ، أو يشد بصرَك عمودٌ ماسوني عليه الحرف الأول من بوعز أو جكين !!

ولكنّ طول الأمد وقلة الجَلَد وضعف العضد كثيرًا ما تأتي بثمراتها المرار . . وقديمًا قال العرب : (**إن كثرة الطرق تولج**) فلن يخطىء بصرك فروخًا من بغاث الطير تلتقط هذا الحَبّ المسموم .

وقد **نجح متنبئو الاستنارة في زرع مصطلح خبيث أرادوا به تمزيق الدين ، والإيهام أنه بشريّ من وضع محمد** ﷺ ، أو من عوائد العرب التي أضفيت عليها قداسة «بطريركية» مزيفة . . وأعني به مصطلح الفقه البدوي .

فأشار هذا **العركون** إلى أن الحجاب ـ ككل ما يمت للجنس ووضع المرأة في الإسلام !! ـ ينتمي لقانون عرقي سابق على الدين الذي أنزل على محمد ﷺ ، الذي صادق على تقاليد قديمة متعلقة بأسس قبلية !! وأعطاها بعدًا مقدسًا .

فتعدد الزوجات ـ ونظام الزواج كله ـ وميراث المرأة والحجاب وصيام رمضان وكثير غيره ، فقه بدوي يحتاج إلى إعادة قراءة وصياغة وفق معطيات عصرانية جديدة .

وحسين أحمد أمين يذهب إلى المقولة نفسها في الحجاب وفي عقيدة القدر التي لا تناسب قاهرة القرن العشرين على حد ما يأفك .

لكن الغريب أن يتسلل هذا المصطلح المقيت إلى ألسنة بعض كبارنا ، فإذا هم يجترون الألفاظ نفسها في تناولهم لقضايا قد انتهى النظر فيها من زمن غير قصير . . فأصبح النقاب واللحية وقرار المرأة ببيتها والقول بتحريم «التماثيل » و الصور والملاهي من (الفقه البدوي) الذي يلزمنا أن نعيد النظر به ، ونصوغه صياغة تليق بعصرنا الجديد ، الذي صار عقدةً تُحل بالتلفيق أو التقريب .

تمامًا كما فعل رفاعة بن رافع حينما ذهب إلى باريس من طهطا ، فأعشت عينيه آياتُ التمدن «الإفرنسي» فعاد يعيب على قومه أنهم لا يرقصون ، لأن الرقص «عياقة وشلبنة» على حد تعبيره .

وأخشى أن يحين علينا حين من الدهر نتلمس المهارب فيه من التيمم بالتراب لأنه تخلف ، والغسل من الجنابة لأنه غير عملي ، ونحلّ الوصية للقطط والكلاب بدل أولى الأرحام الذين هم أولى ببعض ، ونستجيز الربا لأنه بعصرنا أليق وأشبه ، ونترك الطواف حول الكعبة لأنه فعل

وثني مارسه البدو قبل الإسلام واجتنابه يباعد عن الوقوع في شباك الفقه البدوي .

لقد صنعوا لنا الأحابيل ، وسقط فيها بعضٌ ممن لا حظّ لهم من الخير أو الفقه . . فكيف يسقط فيها الأساطين :

كنت في كُربتي أفرّ إليهم
فأصبحوا كُربتي . . فأين الفرارُ ؟!

السَّادَةُ الشُّقَرُ

(١)

● عقيدةُ عندي باتت راسخةً ، لا يداخل يقيني فيها شكّ ، ولا يعتريني تردد : فكل الدلائل تؤكدها ، واستقراء الأحوال يؤيدها .

جُلْ معي على سطح هذه البسيطة من أقصاها لأقصاها ، وتأمل حال البشر على اختلاف عوائدهم ومللهم ، وألسنتهم وألوانهم .

المسلم في العالم كله من ماليزيا حتى البرازيل

النصراني في الفلبين وأندونيسيا وجنوب أفريقيا وأمريكا الوسطى واللاتينية .

الشيوعي في فيتنام وكمبوديا ولاوس ، وفي أثيوبيا وكوبا والصين وروسيا

والوثني في التبت وتايلاند وبورما وكشمير ، وفي مجاهل أفريقيا وأحراش الأمازون .

كلهم . . كلهم مقموعون . . يُشْوَوْنَ على نيرانٍ مختلفة المصدر مشتبهةِ التأثير .

يُكاد لهم ، كلّ بحسب الثغرة التي يؤتى منها ، ويلدغ اللدغة التي لا حياة له بعدها .

● المسلم يحارب في أغلى شيء لديه ، دينه وعقيدته ، ويضيّقُ عليه في المشارق والمغارب بأشد ما عرف البشر من الإعنات والتضييق .

● والنصراني ابن الدرجة الثانية[1] مقموع ذليل مجوع مهين . . لم يؤتَ من عقيدته ، وإنما أُتي من معدته ومن حريته . .

● والشيوعيّ الذي زرعوا في خلاياه الشعارات الحمراء الكواذب جائعٌ خائفٌ محاصر ، دون حريته أغلاقٌ وأبواب . .

● والوثني المتخلف تذكىٰ نيرانُ وثنيته ، ويُؤرَّثُ باطله ، فيظلّ يدور في دواماتٍ من التيه القَتُول تنداح وتنداح حتى تذهب بعمره وأمله وجدوى وجوده .

والوسائل كثيرة : **العملاء ، والانقلابات ، والبنك الدولي ، والخرافات ، والتجويع الثوري المبارك ، وأعاصير الحرب الأهلية ، والاقتتال الشمولي ، والمؤامرات التي تحاك في ردهات السي آي إيه ، والموساد ، والكي جي بي .**

يتم ذلك كله تحقيقًا للنظرة الداروينية الكفور التي تقول بالانتخاب السلالي ، وتنادي **بأن البقاء للأصلح ، وسادتنا الشقر هم الأصلح .**

كل ذلك لكي تبقى الصفوة الأوربية مستمتعة بالدنيا وما عليها ومن عليها . .

---

١ ـ هو نصراني من الدرجة الثانية لأن الأوربي لا يسوي أحدًا بنفسه ـ ولو كان على دينه ـ ما دام على غير لونه . . فهذا الأوربي عنصري متطرف . . واسألوا نصارى أمريكا اللاتينية والوسطى وأفريقيا .

حتى يغرق الرجل الأوربي ، والمرأة الأوربية ، والطفل الأوربي ، والكلب الأوربي ، والقطة الأوربية المدللة في بحارٍ من الترف المتيح من دماء شعوب الدنيا كلها . يمتصون من الناس الكريات البيضاء والحمراء وينقون مخ العظام ، ليحيوا هم سادةَ الدنيا ومترفيها .

ولعل لتقسيم الدنيا إلى عالمٍ أول وثانٍ وثالث وخامس سببًا أنثروبولوجيًا عنصريًا أكثر منه ماديًا حضاريًا .

لقد كانت العنصرية في الماضي واضحة كاشرة الأنياب يلحظها العاقل والأبله . وقد كانوا يحرقون بالنار أطراف المتمردين طالبي الحرية ، ويتفننون في تعذيبهم بمثل ما نسمع عن بعضه في تقارير منظمات حقوق الإنسان أواخر القرن العشرين ، وكانوا يلقونهم في براميل الزيت المغلي الذي يشوي الأمعاء بعد الجلد .

أما عنصريو اليوم فهم نظيفو الثياب ، أنيقو اللهجة ، رخيمو المخارج ، لا تكاد تحس بأنيابهم ومخالبهم المخفاة تحت القفازات الحريرية المحيكة في سراديب الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي . ولكنها العنصرية ذاتها والنتيجة ذاتها .

أخبروني عن أي بلدة من بلدان العالم الثالث التي تشكل الأكثرية الكاثرة على ظهر كوكبنا المنكوب يتنفس أهلها الهواء النقي ، أو يرفعون رؤوسهم اعتزازًا بدينٍ أو مواطَنَةٍ أو ماضٍ أو حاضر . وفتشوا عن النظرية الهتلرية في إعلاء الجنس الآري ، تلك التي اعتنقها الأوربي دينًا

ونمط حياة . أوربا فقط لها الخير وشآبيبُ الديمقراطية وغيوث الحرية ، هذا منطقهم ولسان حالهم .

أما أهل العالم الإسلامي فتقطع ألسنتهم لأنهم بداة متوحشون . .

وأما أهل أفريقيا فإن أعراقهم لا تسامي الدم الأزرق الشريف . فليموتوا جوعًا وجفافًا وعريًا .

وأما اللاتين والآسيويون ـ حتى وإن قلدوا ـ فهم عبدٌ يقلد سيده في هيئته وحركته وسكنته . . وفرقٌ بين العبد والسيد . .

صدقوني : **لقد نجحت أوربة في نقلنا إلى إطار جديد خادع من أُطُر العنصرية الناعمة الخَلُوب** ، التي تخفي تحت ردائها أنيابَ أفعى سمُّها ناقع . . فالغرب كما قال الشاعر القرضاويّ :

أغلى الجمادات .. والإنسانَ أرخصه
وأرخصُ الناس من بالمشرق ارتبطا
فما يقيم لغير الشّقْر من زِنةٍ
فلا هنودَ .. ولا عُرْبًا .. ولا نبطا
مات الملايينُ جوعًا في مشارقنا
والغرب يغذو الكلابَ اللحمَ والقططا

السادة الشقر

(٢)

● . . وإذا أردنا أن نضرب مثلاً على العنصرية الغربية المتغطرسة . . التي بنت لكلابها الفنادق ومحلات تصفيف الشعر والمنتجعات الترفيهية . . في الوقت الذي توزع عطاياها ونعمها على مخلوقات العالم الثالث مما تشتهيه

الأنفس ويسر الخواطر من الأسلحة والمخدرات والأدوية منتهية المفعول وفي الوقت الذي تمارس فيه التجويع والتخويف والإذلال الجماعي . . وتوزيع مخلفات السموم النووية لتدفن في أراضي العالم الثالث وقيعان أنهاره . .

إذا أردت أن آخذ مثلاً واضحاً على ذلك فلا أجد أبلغ من الدولة العظمى التي يطلق عليها مثقفونا أسماء خلابة مثل : بلاد النور ، وبلاد الحريات ، وبلاد الموضة ، وبلاد الثقافة الرفيعة . . والتي صدّرت إلينا الكثير من أسباب العناء ، وربت في أحضانها عددًا من المتفرنسين المعادين لكل ما هو إسلامي .

لنتأمل معًا بعض ممارساتها التي تعيد للأذهان عهود الاستعباد العسكري ، في قوالب أقل كلفة ـ بشريًا ـ وأكثر عوائد وفوائد :

● فالأثر العسكري واضح حين انتفضت غضبًا ونصبت بوارجها

ومطاراتها المتحركة قرب شواطىء بيروت تصب البنزين على الحطب المشتعل ، وحين تدخلت في تشاد بالدعم العسكري الغدق لتستمر المنطقة مشتعلةً متأججة الضرام .

● وهو واضح بجلاءٍ بعد الانتصار الكبير الذي حققته الجبهة الإسلامية بالجزائر ، فلقد نغّص هذا الانتصار حياة الاشتراكي الكبير ميتران ، فهدّد بالتدخل العسكري في الجزائر إذا وصل الأصوليون للحكم ـ رغم دعاوى الحرية وميثاق حقوق الإنسان الذي يكفل حرية الاعتقاد ـ مذكرًا بالممارسات «الحضارية» البشعة التي مارسها الفرنسيون بالجزائر من قبل[1] .

● وعلى غرار التكتلات العسكرية تحاول أن تقيم تكتلاً ثقافيًا استعماريًا ، يجمع الدول الناطقة بالفرنسية ، لتؤسس بينهم وشيجة معادية ، تقف في وجه الدين واللغة والأصول والأعراف . .

مع التركيز على المنطقة العربية الإسلامية ، حتى إن معظم الدول التي تضمها هذه الوشيجة الفرانكوفونية من العالم الإسلامي العربي بالدرجة الأولى ، كما قال فهمي هويدي ـ الشعب ٨٩/٩/٢٦ .

● تخريج كوادر قيادية تمسك بزمام الحركة السياسية في المنطقة ، وتتحكم في مسيرة التغيير أو التغريب . . وقد أثرت هذه القيادات تأثيرًا عميقًا حتى إن واحدًا منهم بقي في سُدَّة السلطة حتى عمي وأصابه

---

١ ـ اقرأ مقال : همجيون حتى العظم .

الصمم والشلل والبله ، وبقى مع ذلك مجاهدًا أكبر !!

ومن أشهـر هذه القيادات **المختار ولد داده** ، **والحبيب بورقيبة وليو بولد سانجور «سان جورج»** ، الصليبي المتفرنس الذي **كان يحكم شعبًا مسلمًا بنسبة ٩٩٪ ؟!** . .

ولا يزال هذا «السنجور» قمة لا تطال عند المهاويس بحب فرنسا والغرب بعامة .

● **تخريج كوادر ثقافية تحتل مواقع هامة في مسيرة الحركة العقلية في المنطقة** ، وتؤثر في توجيهها نحو الدينونة للغرب وبالغرب ، والإيمان المطلق أن بيده مقاليدَ الرقي والتنوير والحرية . .

وقد حمل هذا اللواء عدد كبير أشهرهم الدكتور **طه حسين وتوفيق الحكيم** ، ومنهم **أدونيس وأحمد عبد المعطي حجازي** ، **ومحمد عابد الجابري** ، **ومحمد عركون** «أركون» الذي يفكر ويتكلم ويكتب ويحلم ويتنفس بالفرنسية .

والملاحظ أن كثيرًا من هؤلاء **متزوج من فرنسية** ، **وأقام هناك زمنًا لا بأس به** ، حيث تمت صناعته وتشكيله على عين النمط الاستعماري الجديد . .

● **العنصرية الغالية التي تمارس ضد العرب والمسلمين** ويتزعمها ساسة «يمينيون متطرفون» داخل فرنسا . . والمظاهرات الكثيرة التي تقام احتجاجًا على الوجود الإسلامي هناك ، خصوصًا أن المسلمين بفرنسا أربوا على الثلاثة ملايين وأصبحوا يمثلون الدين الثاني في البلاد .

وكثيرًا ما تمارس أعمالٌ عنفٍ ضدهم ، وهدم للمساجد ، واعتداء

بالضرب . . ومن آخر ممارساتهم طرد فتيات مسلمات **محجبات رغم أنهم** لا يحظرون تعليق الصليب وغطاء الرأس اليهودي - الراية : ١٩٨٩/١٠/٦ .

● **الغـزو الإعلامي عن طريق البث الإذاعي والتليفزيوني** . . ومن أحدث ممارساتهم إنشاء قناة بث تلفزيونية في بلد إسلامي مغاربي وآخر مشرقي ، تصب في عقـول النـاس وعيونهم آخـر «إبداعات» الإباحة الغربية ، ويركزون فيها على أفلام الجنس والانحلال . . وهناك تفكير لإنشاء قنوات مشابهة في دول عربية أخرى .

● محاولـة إحياء المقـولـة التي عمت أوائل القرن . . الذاهبة إلى أن **الفرنسية لغة المثقفين وعلية القوم** .

وأثـر هذا اللسـان لا يزال بارزًا في دول المغـرب العربي وموريتانيا والسنغال وغيرها .

والصور كثيرة . . والنماذج كثيرة . . والنتائج التي يراد تحقيقها هي التهام خيرات هذا العالم الإسلامي والإبقاء عليه متخلفًا ضعيفًا ممزقًا ، لا يعتز بإنجاز ، ولا بدينٍ ، ولا بأصولٍ ، ولا بماضٍ ولا حاضر . .

فهل نعي الدرس أم نواصل الرقاد ؟

● لا يملك إنسان منصف إلاّ أن يتأمل بعجبٍ جَلَد سليلي القردة والخنازير ، الذين نجحوا في **تطويع الدنيا كلّها لمقاصدهم** ، وفرضوا على العالمين احترام النجمة السداسية والقلنسوة اليهودية .

فما من وسيلة شريفةٍ أو حقيرة إلا استخدموها . وما من فرصة لاحت أو غرة سنحت إلاّ ووظفوها ، لتكون في النهاية لبنةً في أساس الكيان الصهيوني ، الذي تحولنا - بسبب غيبوبةٍ عقلية وحضارية نعيشها ، وبلمسة سحرية - إلى دعاة سلامٍ معه .

وبتنا - جميعًا - نحذّر من الدعوات «المتطرفة» التي تدعو للعنف في حل القضية !!

● واتضحت لنا تفاهةُ قيمة دماء عشرات الألوف من «المتطرفين» الذين ماتوا في الأرض المحتلة وفي سيناء والجولان خلال السبعين سنة الماضية .

● فيا لغبائهم إذ لجؤوا للعنف ولم يهجموا على حملان «شتيرن والهاجاناه» الوديعة هجوم السلام الذي هو أنجع سلاحٍ يواجَهُ به أبناء صهيون !!

● ويا لغباء القادة «المتطرفين» الذين خاضوا الانتفاضات والحروب منذ انتفاضة ١٩٢٢ مرورًا بحروب ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ١٩٧٣م ، إذ أنهم -

لغبائهم - لم يلتفتوا إلى الفلسفة العظيمة التي استنّها من يستفزهم ملمس الزناد ، وتصيبهم جلجلات الرشاشات بالقشعريرة !!

● لا يملك منصف إلا أن يعجب بمهارات اليهود حينما ألبسوا «بوش» القلنسوة ، وأوقفوه أمام حائط المبكى - البراق سابقًا - ليقولوا للدنيا كلها إن هذا رجلنا ولو كره المسلمون .

● وحينما استضافوا المشاهير من ذوي الجاذبية الجماهيرية كإليزابيث تايلور ومايكل جاكسون وخوليو إجليسياس ، وروضوا أمثال أنيس منصور ليكونوا لوحات «نيون» براقة تشد الأبصار .

● وحينما أوقفوا نجم النجوم دييجو أرماندو بن مارادونا أمام حائط المبكى - البراق سابقًا - لابسًا القلنسوة «المقدسة» ليعطّف قلوب الملايين - قبل كأس العالم - وليقول بلساني الحال والمقال : انظروا بعين العطف والرعاية للسادة الصهاينة الذين يعرفون من أين تؤكل الكتف ، ويفهمون كيف يستهزئون - بالبادرة الإعلامية الذكية - بإعلام كل دول المواجهة وما وراءها من عمق «استراتيجي» ، ولترتفع نجمة داود خفاقة عالية ولو كره المسلمون .

● وحينما يحاولون بألف طريقة وطريقة البحث عن شبهات جذور تعطي تجبرهم واستئسادهم شيئًا من التسويغ ، حتى ولو كانت هذه الجذور في غربي جزيرة العرب (مكة والمدينة والحجاز) أو بين الباتان في أفغانستان وباكستان وبنجلاديش ، أو بين زنوج أفريقيا أو صُفْر شرقيّ آسيا . . ليستخدموا - بذكاء إبليسي معجب - هؤلاء الباتان الأشداء ليكونوا لهم عمقًا استراتيجيًّا ، وغطاءً بشريًا يحميهم - ولو باد عن آخره

في المستقبل - ولو لم يبد فإن ما سيتبقى منه يصلح بالتأكيد ليكون دمًا لفطيرهم الملعون ، أو أغراضًا بشرية يمارسون عليها ساديتهم ودمويتهم !!

● **وحينما ينجحون في استثمار الأحداث في أوروبا الغربية من زاوية ماكرة ليثبتوا أقدامهم مع التغيير التاريخي في المنطقة** ، ثم من زاوية تشويه العرب ووصمهم بما وصموا به غير المأسوف عليه شاوشيسكو ، الذي ألبسوه بمهارتهم - كما نشرت الصحف العالمية - غترة وعقالاً ، ونسبوا لبعض الفلسطينيين والسوريين أنهم يعملون مع نظام السيكوريتات السري الذي كان سوط الدكتاتور ، ووسيلته في التنكيل بالأحرار ، وكتم أنفاس كل من يريد أن يتنفس هواءً نظيفًا !!

● إن العالم كله يكره اليهود ، لكنهم استطاعوا أن يحولوا النتائج لصالحهم ، بل ونجحوا في إجبار خصومهم على أن يعتذروا لهم علنًا بمناسبة وبدون مناسبة ، ولووا أعناق الذين أظهروا شيئًا من الصلابة وطاردوهم حتى في أحلامهم ، كما فعلوا مع فالدهايم رئيس النمسا .

ولأن للأحلام فوائد يقرّ بها علماء النفس ، ولأن التمني لا ثمن له ، ولا يحتاج جهدًا ، ولا يتعرض لتفتيش ولا مصادرة ، فقد مرت ببالي جملةٌ من الأماني التي إن تكن ، تكن حقًا أجمل المنى ، وإلا فهي مهربٌ من تصور بشاعة استيطان عشرين مليونًا من الباتان أرض إسرائيل «الكبرى» .

● **فقد رأيت فيما يرى اليقظان رئيس أمريكا وقد شهد موسم الحج**

واستلم الحجر الأسود ، ووقف يذرف الدمع أمام الملتزم معتذرًا عن معونة بلاده لليهود ودعمهم لها حتى استوت كيانًا سرطانيًّا مهلكًا ، في محاولةٍ لإزالة صور الرؤساء السابقين الذين ذرفوا دموعهم عند حائط البراق «المبكى سابقًا» .

● ورأيت فيما يرى المتمني خروجه لاستقبال شيخ الأزهر «الموقر» وتشوقه للتجول في رحاب الأزهر الشريف الذي عاد شريان حياة الأمة بعد نومة طويلة . كما كان يفعل مع جون بول الثاني الذي كان ينظر إليه هو وقومه أنه نائب الله على الأرض والمتحدث باسم السماء تحليلاً وتحريمًا وأمرًا ونهيًا وتخطيطًا وتآمرًا !![1] .

● ورأيت فيما يرى الملهوف إعلامنا وقد صار ذكيًّا يقظًا ، وقد أجاد تحويل الرياح لتملأ شراع الانطلاقة الإسلامية الجديدة ، ونجح في دعوة كبار نجوم السياسة والإعلام والرياضة إلى مهرجانات «إسلامية» أعلنوا فيها سعادتهم الغامرة ، وتقديرهم لأمة الإسلام وتاريخها المجيد ، وحاضرها الأمجد .

---

١ ـ للبطاركة سلطة التحريم والتحليل في العقيدة النصرانية . وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى في سورة التوبة ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح بن مريم﴾ وهذا الاتخاذ كان بطاعتهم فيما يحلون ويحرمون كما ورد في البخاري عن النبي ﷺ . وفي إنجيل متى ١٨/١٨ [الحق أقول لكم : كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء] . . فتأمل .

● وطـاف بمخيلتي طائفٌ **عودة علماء الـدين الـوعـاة إلى أمـاكنهم الصحيحة في البروتوكول الدبلوماسي** ، واستعادتهم احترامهم وهيبتهم على «غرار» ما يفعل بيجن وشامير مع الحاخامات الذين يظهرون في كل اجتماع للكنيسيت الإسرائيلي (الذي بني على أرض تخص «عائلة خلف» من قرية «لفتة» التي لا تزال تحتفظ بصك ملكية الأرض ـ العرب : ٥٠٩٠) .

● ورأيت **عودة العلماء إلى الصـدق مع الله تعالى ، وقد عاشوا هموم المسلمين بوعي** ، وشاركوهم أشجانهم ومتاعبهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وتغـيرت الواجهة الرديئة التي يحتلها الفقهاء «الرسميون» وسـدنـة الأنظمة التي أتقنت استخدام كل الأسلحة لكن في مواجهة شعوبها . .

● وقفـزت لخيالي رؤيا **تحقق التنسيق الكـامـل بين المنـاهج التربوية والإعلامية ومناهج السياسة والاقتصاد لإحداث تأثير يصب في النهاية في بحر مصلحة الأمة** وإظهار الاعتزاز بالإسلام والعروبة وعشق القرآن الكـريم (كـما) يُظهـر بنـو القـردة والخنازير اعتزازهم بالتوراة المحرفة ويقدسون يوم السبت ويحتفون بالعبرية التي أفاقت من سبات ألفي سنة .

● وتمنيت . . وتمنيت .

لكن وقعت عيني فجـأة على أسـطر في الجريدة تحذر من الدعوات

«المتطرفة» التي تريد «نسف» جهود السلام .. وتسم شباب انتفاضة المساجد بالعمالة لليهود ولجورج بوش شخصيًا ، وتجعلهم أخطر على القضية من شامير ورابين وشارون .

وقلت لنفسي : حتى الأماني بات الاقتيات بها صعبًا .

فيا لله للمسلمين ..

معاهدة كف الألسنة

● انتهت بالجزائر اللقاءات التي عقدت حول (مستقبل الإسلام) ، ونشرت الصحف نتفا عنها ، تؤكد أن بعض (الصحفيين) آخر طناش ـ كما يقول العوام ـ . فمجرد تحرير الخبر وضبطه أمر غائب ، فقد كان مما نشر كلام

مضحك من نوع (يوسف القرضاوي رئيس جامعة العلوم الإسلامية في قطر) !!

ليس هذا مهمًّا الآن ، ولكني أتوقف أمام نقطة لافتة للنظر . . هي ما جاء من الدعوة إلى (**إقامة منتدًى إسلامي للتحاور مع العلمانيين والمسيحيين والمستشرقين وحتى اليساريين في العالم**) .

وهذه لا شك نظرة ـ كما يقول المتفذلكة ـ طوباوية مثالية . . فأنْ يقيم الإسلاميون جسور حوار ، ومحاولةً للتفاهم أمرٌ جيد ، لولا أنه يشبه ـ في القياس المباشر ـ استجداء السلام من إسرائيل . . فقد بتْنا نرجو التحاور ونقدم التنازل وهي تركل المتسولين في تجَبر وصلف .

ليس هذا موضوعنا الآن أيضًا . . لكن هناك سؤالاً يلح على خاطري ، وأجد رغبة عارمة في أن أصرخ به بأعلى صوت أطيقه :

● هل فكرتم يا سادتي في إقامة منتدىً للتحاور مع الإسلاميين أنفسهم ؟

● هل فكرتم أن توجدوا نوعًا من القواسم المشتركة بين الفرق التي يلعن بعضها بعضًا ، ويسفّه بعضها بعضًا ؟

● هل فكرتم في إقامة تطبيق حقيقي للقاعدة الذهبية (نتعاون فيما اتفقنا عليه ، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه) بدلاً من أن تكون شعارًا أجوف كشعارات الثوريين ؟

● هل فكرتم في التوصل إلى خطوط عريضة تتسامى فوق اعتبارات العصبية بحيث يقوم من الإسلاميين جميعهم نسيجٌ متماسك يقاوم الحرق والبلل والهتك والتمزيق ؟!

● هل فكرتم في إقامة معاهدة (كف ألسنة) ووقف إطلاق نار التهم ، يتفق عليها رؤوس العاملين ؟!

● هل فكرتم في توليفة تضم القرضاوي والغزالي وابن باز والألباني ومحمد إسماعيل وعمر عبد الرحمن وعبد اللطيف مشتهري وشيخ الأزهر و . . و . . و . . ؟!

● هل فكرتم في تكوين لجنة مساعٍ حميدة تتلمس الجوانب الإيجابية ، ولا تتشنج إزاء مواطن القصور ـ وهو حتماً واقع ـ لأن الاتحاد فريضة ، ورأب الصدع أمرٌ لا مناص منه ؟

● هل فكرتم في إيجاد وسطاء مقبولين يقومون بردم الحفر وإزالة الجنادل الموجودة في طريق العمل الإسلامي ؟

أكاد أقسم أن هذا لم يَعْدُ مجرد الدعوة النظرية التي تتردد على الألسنة

منذ عقود ، ولكن لا نصيب لها من التطبيق الواقعي الملموس !!

وأكاد أقسم أن دعاتنا ـ في مجموعهم ـ لم يحاولوا السعي إلى هذا التجميع الذي سيكون قوة ضاربةً تفيد الإسلام والمسلمين ، الذين يؤتَوْن من فرقتهم وتباغضهم ، ليس على مستوى الأفراد ، بل على مستوى الكتل البشرية .

ويكفي ـ تدليلاً على رأيي ـ أن هناك أحكامًا كليةً بالمروق والضلال تصدر عنا كبارًا وصغارًا دونما توسط ، ودونما اعتدال ، ودون أدنى مراعاةٍ للعقل .

- ألم يرم بعضنا «إسلام الإخوان المسلمين» بأنه متفلت ، ولا خير فيه ، وأنه بعيد عن السنة والاتباع ؟!
- ألم يبتدع بعضنا مقولة «الإسلام السعودي» الرجعي المتخلف ، الجدير بالدوس بالأحذية ؟!
- ألم ينعت بعضنا «الإسلام السلفي» بأنه ظلامي متعفن ، وأن رموزه لا يستحقون حتى مجرد التلفظ باسم الإسلام ؟!
- ألا يجلس بعض مفكرينا في برج عاجي «هروبي» ثم يفيض على التيارات جميعًا من خيرات لسانه ، وبركات حدته ؟!
- ألا يشبه هذا ما يقوله العلمانيون واليساريون والمستشرقون عن الإسلاميين ؟!

يا سادتي الكرام . . يا عقول الأمة المفكرة :

أو ليس الإسلاميون أولى بهذا المنتدى ؟!

أو ليس الإسلاميون أولى ؟!

إنها دعـوة لمفكـرينا الكبار ، وللقابضين على الجمر ، ولحاملي هم الصحوة المباركة . . وأخص منهم الكبار عُمرًا وعلمًا :

ابـذلوا ـ في آخر أعماركم ، وقبل أن تلقوا ربكم عز وجل ـ ابذلوا جهدًا فعليًا في تجميع المسلمين .

اجلسوا معاً ـ ولو في واق الواق ـ لتصلوا إلى كلمةٍ سواء .

تناسوا الأحكام المسبقة والانتماءات .

وإني لعلى يقين أن الله عز وجل سيوفق من يريدون إصلاحًا ، ويثمر مساعي المخلصين ، ويبارك جهود المتجردين .

بايعوا الله تعالى على التوحيد . . **فقد اتحد ضدكم الشرق والغرب ، واليهود والعلمانيون ، والداخل والخارج** . . فما بالكم أنتم متفرقين متهاجرين ؟!!

اللهم أسمع الأحياء . . ونبه الغافلين . .

يا رب العالمين . .

الحِرْباويون

(١)

● يتستر هوانُ النفس بمائة قناع وقناع ، وكالحرباء يلبس مائة لونٍ ولون ، ليخفي ما في داخله من خبثٍ وسواد نيةٍ وفساد طوية .

وطبيعةُ الجبان أنه لا يملك أخلاق الفرسان ، ولا يعرف المروءة في النزال ، فإذا تمكن من رقبة أحدٍ أذلّه ، واستخدم ضدّه كلَّ أسلوب خسيس ، وكلَّ منهج في الخصومة بئيس .

إن من أحرار الفكر من يخالفك وتخالفه ، لكن في مروءة ونبل ، وفي عفة وتعقّل ، فليس في خلافكما تزيّدٌ ، ولا تجاوز ، ولا افتئات .

أما عبيد النفوس فهم إذا ضعفوا نافقوا ، وإذا تَقَوَّوا كانوا لُدَّ الخصومة ، أشداء في ضرب الأسير المقيد الذي لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ، ولا يبرهن لرأيه .

وكثير من عبيد النفوس هؤلاء ساعدهم اتجاه الريح ، وتبوأوا سُدّة التعبير والتوجيه ، فأخذوا - بمنتهى الحزم والعزم - يحجبون آراء غيرهم ، ويعمّقون توجههم ، لكن غابت مروءتهم عندما استباحوا تشويه الرأي الآخر - وإن كان رأي الأمة كلها - والإساءة إليه ، وتقديمه بأقبح ما يستطيعون .

وإذا رأوا شيئًا من الحق قد وجد فرجةً يسيرة بين ركام الزيف وتلال السقوط البشري ، هاجوا وماجوا ، وطلبوا ألا يسمح لهذا الحق أن يطل برأسه خشيةً على المكاسب العلمانية المكتسبة ـ كما يتوهمون .

إنك قد تجد منهم من يكره الإسلام كُرْهَهُ للموت ، ولا يطيق الدعاة كبارَهُمْ وصغارَهُمْ ، ويصيبه السّعار إذا سمع إنسانًا يتحدث عن تحكيم الشريعة ، أو يطالب لمفكري المسلمين بحرية التعبير تسويةً لهم بالمفكرين العلمانيين أو اليساريين الملاحدة .

لكنه يكون أجبن أو أذكى من الرفض المباشر الصريح حتى لا يصنَّفَ تصنيفًا معينًا ، أو ليؤمِّن لنفسه خطَّ رجعة إذا دعت الضرورة :

● فتجده **يمدح الإسلام ويصفه بالعظمة والسماحة** «والروعة» لكنه يعيب فقط على الحمقى الأغبياء الذين لا يقدرون عظمة هذا الدين **فيحرّمون على الناس الربا ، ويمنعون المرأة من اختيار أصدقائها ، ويكرهون الرقص والغناء** !! فكيف والدين يسير ؟!! .

● وتجده **يتغزل في محاسن الشريعة الغراء** لكنه يكره المتزمتين المتشددين الذين يحظرون على المرأة أن تجد شخصيتها في المجتمعات العامة ، وتمارس اختياراتها ، **وتقيم علاقاتها بحرية وانفتاح** . . ومتى كانت الصداقة البريئة عيبًا وعارًا ؟!!

● وتجده **يذوب شغفًا بأخلاق الإسلام وقيمه** ، لكنه ـ فقط ـ يعيب على بعض الناس «الأصوليين» **حشر أنوفهم وأنف الإسلام فيما لا يعنيه كالأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية** !!

إن بعض أعداء الإسلام واضحون يملكون من الجرأة ـ التي تدعو للرثاء ـ ما يجعلهم يُسْفرون بعداوتهم لهذا الدين ومَقْتِهم الفاحش لأوامره ونواهيه .

ولكن بعض أعدائه أخفياءُ متسترون تحت أقنعةٍ من الألفاظ الموهمة ، والمواقف الزئبقية . . يعرفهم الكيس الفطن من لحن القول وعثرة القلم .

وهم على استعداد أن يحلفوا لك بالله إنهم محبون لهذا الدين مشفقون عليه بدليل كتاباتهم التي تصفه بالعظمة .

لكن لو طُلب من كَيِّس فطن أيضًا أن يحلف بالله ثلاثًا إنهم لكاذبون وليسوا على شيء فسيجد في كتاباتهم وسقطاتهم ما يبر به يمينه ، وما يبرهن أنهم حرباويون لا يفقهون !! وسيحلف بارًا غير حانث .

الحِرْباويون
(٢)

● ولم يكتف الحرباويون بتعميم الكلام أو تغليف السم بغلاف حلو خادع . . بل تعدوا ذلك إلى ممارسة نوع من **الاحتواء الذكي المدروس** ، انتبه له بعضُنا وغفل عنه كثير منا في غمرة الخلافات والحزازات البغيضة .

وصنعوا حبائلَ من نوع خطير ومتينٍ يستطيعون بها ترضية بعض المتعجلين والسطحيين ، واكتساب مواقع في العمل الإسلامي لضربه من الداخل .

فنراهم يمتدحون شخصًا ليقتلوا مجموعة ، ويثنون على فريق ليهدموا فريقًا آخر ، ويبتدعون ألقابًا برّاقة ليصموا بعكسها من يريدون تشويهه ، ويختارون ألفاظًا ومصطلحات يصُبُّون عليها كل أنواع التجريح والتحقير ليسقطوا مناهجَ معتبرة لها قيمتها في الفكر الإسلامي الأصيل .

● فالشيخ يوسف القرضاوي رجلٌ واسع الأفق ، والغزالي مجدد الدين ، لكن **الإخوان المسلمين (حِشريون) يتدخلون في السياسة** ، ويريدون الاستيلاء على الحكم عن طريق العمل البرلماني !!

● والإخوان المسلمون هادئون عاقلون عكس **(سائر الفصائل**

الإسلامية) من العدوانيين الدمويين الإرهابيين الذين ينبغي أن يؤخذوا بالحزم والشدة ؟!!

● والسلفيون منغلقون رجعيون ، لكن هناك (السلفية المستنيرة) الواعية التي لا ترى بأساً بمصادقة العلمانيين والشيوعيين والإباحيين . ولا تمنع المسلم من أن ينسى (الجهاد الدعوي) آخر الأسبوع بكأس ، أو يذهب إلى مكان (يتبجح) فيه!!

● وحوّل هؤلاء بعضَ المصطلحات والألفاظ التي لا غبار عليها فجعلوها مشبوهةً ملوثة ، وابتلع طُعْمها كثيرٌ من (حيتان الإسلام) فاستخدموها دون تروٍّ ودون إمعان نظر .

● فمصطلح السلفية صار مصطلحًا قبيحًا مستهجنًا رغم أن قطاعًا كبيرًا في العالم الإسلامي سلفي العقيدة . . ورغم أن دعوة الإخوان المسلمين تنصّ فيما تنص في أصولها على أنها دعوة سلفية . . ورغم أن بعض علماء التيار السلفي يعدون نماذج تحتذى في الفهم والعمل الدائب والعلم الغزير .

● ومصطلح الأصولية صار وصمةَ عارٍ . . وهذا عجيب جدًّا ويُسْفِرُ عن استحماق للقارىء أو المستمع واستغفال واضح لعقله . . فهل نقطع أصولنا أو جذورنا ونتخلى عن قرآننا وسنتنا حتى لا نكون (أصوليين) ؟!

وهل نستحدث عقيدة جديدة وشريعة جديدة إذن حتى ننفي عن أنفسنا وصمة الأصولية ؟!

● ومصطلح العصبية صار مصطلحًا مقيتًا . . وهذا ضد الطبيعة والفطرة والعقل ، فإن أي عمل ـ مهما كان ـ لا يمكن أن ينجح أو يتم

إلا إذا اقتنعتَ به ، وآمنتَ بجدواه ـ وهذه هي العصبية ـ وتحمست لأدائه ـ وهذه هي العصبية ـ وإلا فإنك لن تؤديه على الوجه الأكمل .

وأذكر أن الشيخ محمد عبده كتب في العروة الوثقى أوائل هذا القرن مقالاً عن العصبية يؤكد فيه أن الدين ـ أي دين ـ لا قوام له إلا بالعصبية ، بل إنها من الغرائز التي يحفظ بها الإنسان عقيدته ووجوده .

ثم لماذا تُقبل عصبية دايان وبيجن ومائير كاهانا ؟

ولماذا تُقبل من عبدة ماركس ولينين ؟

ولماذا تُقبل من النصارى في أنحاء المعمورة كافة ؟

لماذا تمرُّ عصبية هؤلاء لعقائدهم ولا يتعصب المسلم لإسلامه ؟!

لقد استعمل بعض اليساريين والعلمانيين هذا الأسلوب حتى نالوا بمهارة لقب (مفكر إسلامي) ولقب (المفكر اليقظ) وحتى تبوأ بعضهم مراكز عليا في الإعلام (الإسلامي) ، وفي منارات الإشعاع الدعوية !!؟؟

رغم أنهم يكتبون منذ عقود من منطلق (نفاقي) أو يساري صرف ! .

ورغم أنهم لم يتراجعوا عن كتاباتهم التي كتبوها حين كانوا (حُمْرًا) فاقعي اللون ، ورغم إصرارهم على كتاباتهم الغالية المنحرفة التي كانوا بها من قبل في صف خصوم الإسلام .

فأصبحوا ـ بالمنهج الجديد ـ في صف أصدقائه وكبار مفكريه . . إنه النفاق في ثوب جديد !!

فهل من مدكر ؟!!

خميس الراشدي

● . . ومن الأساليب التي تسخّر للتشهير بالصحوة الإسلامية والزراية بها ، والتي تستخدم بتركيز في الصحف والمجلات ذات الولاء اليساري أو العلماني ، فنّ ساخر ساحر ، يقدم الفكرة العميقة في لمسات بسيطة ودقيقة . . إنه فن الكاريكاتير .

والكاريكاتير يُستعمل أفضلَ ما يستعمل في النقد والتوجيه الاجتماعي والسياسي والفكري ، فهو - إذا وظف بوعي - **يَخزُ دون أن يفضخ ، ويجرحُ دون أن يُسيل الدم ، ويؤلم دون إفحاش أو تجريح** ، ويستبدل الصفعة بالبسمة ، مع إحداثه الأثرَ المراد .

أما إذا تحول - ككل سلاح - إلى أداة في أيدي البلطجية والمفسدين ، أو سبيلاً لنشر أيديولوجية منحرفة ، فهو عندئذٍ شرّ مستطير ، وبلاءٌ يُستعاذ منه .

● ولا يخفى على المتابع اليقظ أن التيارات الشيوعية (**وظّفت**) الكثير من رسامي الكاريكاتير لتقديم أفكارها ، ودعم أطروحاتها ، وكَفَلت لهم الصيت الذائع والمال الوفير من جيوب (**البورجوازيين المتعفنين**) الذين

سبوا دينهم ، واستفادوا من أموالهم وكأنهم يقولون : دينكم مردود ، ومالكم خير وبركة ، وحكمكم رجعيةٌ وتخلّف لكنَّ تفيُّأنا ظلاله وعيشنا في رحابه تكتيك !!

وقد نفخ هؤلاء في أسماء بعض الرموز ، ورفعوا أقدارهم ، وجعلوهم من أعلام الفكر ، كذلك اليساري القتيل **ناجي العلي** الذي صيروه شهيدًا وكتبوا فيه الملاحم ، **وكصلاح جاهين وجورج البهجوري وبهجت عثمان وعبد العال وجمعة** . . وغيرهم ممن يعلنون صراحة ولاءهم للأفكار اليسارية .

ولكم رأيت من لوحات الكاريكاتير ما شوه الإسلام أشد تشويه بريشة أولئكم النفر ، فصوروه على أنه دين بلطجة وسفك دماء ، من خلال رموز **كسيد قطب** رحمه الله تعالى الذي قدمه **مصطفى حسين** عميلاً لليهود والأمريكان ـ وكانت هذه موضة الستينيات ـ **وكالشيخ متلوف** الذي ابتكره **صلاح جاهين** للسخرية بالعلماء ممثلين في **الشيخ محمد الغزالي** ، وكشخصيتي المنقبة والملتحي اللتين يركز عليهما رسامو صباح الخير وروز اليوسف .

● وغير خفي أن الرسامين الأجانب أيضًا استخدموا الكاريكاتير ـ ولا يزالون ـ في كبريات المجلات والصحف الغربية لدعم الصورة الشائهة للعربي المسلم في الغرب . . **فهو يركب الناقة ، ويتكىء على برميل نفط ، ويخاصر غانية لعوبًا ، وينام على الدولارات ، ويبعثر النقود في**

الشوارع ، ويربط الرولز رويس مع الناقة . . إلى آخر هذا التصوير البشع والمتقن والفاعل .

(ويعد الكاريكاتير السياسي الذي تنشره الصحف يوميًا رسالة إعلامية بالغة الكثافة والاختصار ، عميقة التأثير . ويركز على موضوعات بعينها مثل العرب والنفط ، والعرب والجهل ، والعرب والحريم ، والعرب والإرهاب .

وكثيراً ما يظهر ياسر عرفات ـ كرمز عربي إسلامي (؟!!) ـ في الكاريكاتير الغربي في صورة الإرهابي المتعطش للدماء ، فقد ظهر في رسم كاريكاتيري يجري مسرعًا نحو حافلة وفي يده قنبلة تشتعل وقد وقفت امرأة غربية تقول له : أسرع يا عزيزي فسوف تفوتك الحافلة . . وفي رسم آخر يقف ضاحكًا أمام البابا [تأمل البعد الديني !!] وهو يرتدي بزته الفدائية وفي يده قنابل وبنادق وسكاكين ، وقد كتب تحت الرسم : عرفات للبابا : انتظر ، فأنت لم تر شيئًا بعد ، (طاش ـ الصورة النمطية ـ ٦٥ ـ بتصرف) .

واللافت للنظر أن هذا الفن ـ على عمق تأثيره وشدة فاعليته ، ورغم أنه يمكن أن يقدم الكثير للدعوة الإسلامية في المرحلة الراهنة ـ لم يقم به أحد بقصد خدمة الفكرة الإسلامية ـ اللهم إلا بعض اللوحات القوية جدًا للفنان **محمود كحيل** في «المسلمون ، والشرق الأوسط» ـ ولم يهتموا به في الصحف والمجلات رغم وجوده في وسائل الإعلام منذ أوائل هذا

القرن في مصر ، وربما قبل ظهور المخضرمين : **صاروخان ، ورخا ، ووليم ، والطنطاوي ، وتاد** .

لكنني ألمح على الساحة الإعلامية القطرية فتًى من أرشق رسامي الكاريكاتير أداءً ، وأبدعهم تصويرًا ، وأفضلهم اختيارًا لجدية الموضوع وجـدواه ، وأراه جديرًا بحقٍّ بأن يتربـع على قمـة بارزة من قمم فن الكاريكاتير .

إنه الفنان القطري الرائع **خميس الراشدي** ، الذي تعرفت إليه عبر لوحاته اليومية بـ «العرب» ، والتي تعكس روحاً إسلامية وثابة ، وقدرة فنية خلابة .

ـ لقد أبدع خميس الراشدي مئات اللوحات ، بلا نبوّ ولا تطاول ، ولا سباب ، ولا تجريح ، بل أحلف ـ غير حانث فيما أظن ـ أنه ما من لوحة إلا وهي قطعة من نفسه ، فكر بها ، ودرسها ، وأدّاها كما لو كان يصمم مشروعًا كبيرًا .

ـ إنني لا أنسى ـ **روائعه عن أفغانستان ، وعن حماس ، وعن أطفال الحجارة ، وعن بلادة مسلمي هذا الزمان** .

ـ ولا أنسى لوحاته التي تنتقد المجتمع بوعي واقتدار ، وبأداءٍ لا يقل روعة عن أداء المشاهير ممن نأخذ عليهم ميولهم المشرّقة والمغرّبة . . وإن لم يتفوق عليهم .

وللراشدي مني دعوة . . وتنبيه . . وتحية

دعوة لأن يكثر من لفت النظر إلى جراحات المسلمين في العالم كله ، وتنبيه الناس إلى حال إخوانهم في فطاني والفلبين ، وجامو وكشمير ، وأريتريا والأوجادين ، والسودان وكردستان ، وبورما وسريلانكا . . المسلمين في كل مكان .

وتنبيه لك أيها الرجل : إن أسلوبك لن يعجب كثيرين ممن يكرهون القلم النظيف والريشة الطاهرة . . فحاذر ، وحاول على أن تتفوق أكثر وأكثر ، وأن تكسر إطار المحلية ، بإرسال إبداعاتك إلى منافذ أكثر انتشارًا ، وجمهور أكثر عددًا .

وتحية خالصة من رجل يعرف أثر الريشة والقلم . . ويسرّه كثيرًا أن يطالع «العرب» كل صباح ابتداء من الصفحة الأخيرة ، ليمتع عينيه باللمسات الراشدية الرائعة .

تحية لك يا . . خا . . ميس

ليالى حسن البنا

● إن توجيه الإعلام المرئي ـ سينما وتلفازًا ـ توجيهًا رديئًا ليس أمرًا خفيًا ولا جديدًا . . لكن ما أظنه جديدًا هو أن هذا النوع من الإعلام بدأ يتجه إلى **أسلوب التشويه المباشر والاستعداء السافر** ، بعد أن كان الأمر يتم قديمًا عن طريق الإسقاطات والإيماءات التي ينتبه لها قوم ويغفل عنها آخرون .

وهذا على مستوى الداخل الإسلامي والخارج غير المسلم .

فأما صورة الإسلام في الخارج فلا تعرض إلا عبر **الخرافات** ، **والدروشة الساقطة** التي لا تعرف الإسلام إلا مكاءً وتصدية ، وترنحاً وبلاهة !!

أو عبر الأفلام التوثيقية التي يجيدون «فبركتها» **ليبدو المسلمون قراصنة يحملون الجنازير** والمدى والمسدسات !!

أو من خلال «**التنكيت**» **والسخرية** من الإسلام . وقد شهدت بعيني حلقة تسخر ـ على مدار ٣٠ دقيقة ـ من الإسلام كلها ضحكات معلبة وكلامٌ معدّ بعناية !!

أو عبر اللقاءات الجماهيرية بسؤال الناس أسئلة «موحية» من نوع : **هل تعتقد أن خطر الإسلام قادم؟ وكيف تتصرف إذا وصل**

المسلمون ؟!!

وعن طريق الأعمال الدرامية التي يجنّد لها كبار نجوم السينما العالمية من أمثال : جين فوندا ، وكيرك دوجلاس ، وحتى عمر الشريف .

وعن طريق توظيف السينما التي يملكها اليهود لخدمة القضية اليهودية وتقديم الدعم الإعلامي والمعنوي لها !!

أما على مستوى الداخل الإسلامي .

فإن هناك هجمة شرسة يشنها الإعلام المرئي تتخذ أيضًا عدة محاور «درامية» :

محور الحديث عن النصابين أصحاب شركات توظيف الأموال الذين يتسترون وراء اللحى والجلابيب ، ويمتصون دماء الشعوب المسكينة التي يطحنها الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات .

وعن طريق **طرح أفكار تنتمي إلى الشيوعية** الساقطة حينًا **أو إلى الإلحاد العلماني** حينًا آخر .

وعن طريق طرح الإلحاد بتقديم أفكارٍ بريئة الظاهر تغرس على المدى البعيد أفكارًا يرفضها الإسلام وتتعارض مع روحه وقواعده .

والمثال يوضح المقال

● فلعل القارىء الكريم يذكر **إسطبل عنتر** وما جاء فيه من تصويرٍ لأمير الجماعة الذي يجلس مع أتباعه مسيطرًا على عقولهم من خلال كلماته الحادة المتطرفة ، ومن خلال بغضه للناس أجمعين ، ثم إذا به آخر الليل في كباريه مع راقصات وأضواءٍ حمراء وخمر . . ومع آخرين يعملون في تجارة المخدرات من خلال تسترهم بالمتطرفين !!

● ومن آخر ما مر بنا . . مسلسل قيل فيه الكثير والكثير . . وطال طول الليل الثقيل هو مسلسل **ليالي الحلمية** . . وهو جدير بأن نقف معه وقفة فيها شيء من التأمل :

ففضلاً عن طرح بعض الأفكار الشيوعية ـ من خلال عاصم السلحدار ـ وفضلاً عن **تصوير الدين بأنه مُخدر** من خلال علي البدري الذي **أصيب باليأس فلجأ إلى التديُّن** (؟!!) وهرب إلى حضرات الصوفية ليغيب عن واقعه المر . . وفضلاً عن الملتحي الهارب الذي ظهر في أكثر من حلقة . . فضلاً عن هذا كله . .

لفت نظري الصديق الشاعر **رشدي إبراهيم** إلى شيء هام يؤكد غياب نزاهة من يحاولون كتابة التاريخ . . ويؤكد الدعوة لإعادة صياغته برؤية إسلامية وبأيدٍ إسلامية .

فرغم أن الحلمية التي صورت لياليها ـ كانت مسرحًا للأحداث الكبيرة منذ ما قبل الثورة . . ورغم أن المؤلف والمخرج انتبها لكثيرٍ من الشرائح الاجتماعية **كالعوالم والقهوجية والسماسرة والشيوعيين والباشوات** وغيرهم .

رغم هذا كله فإنهم **أسقطوا أهم مخاضٍ شهدته الحلمية** وأهم حدث ظهر فيها ، وأثّر ـ ليس في مصر وحدها بل في العالم كله ـ

أسقطوا أن الحلمية كانت تضم **المركز العام للإخوان المسلمين** . . وأن هذا الحي الشعبي قد شهد في الثلاثينيات والأربعينيات **الشيخ**

حسن البنا . . وشهد الأمسيات والمحاضرات والزخم الإسلامي الذي سرى في كيان العمل الإسلامي في الدنيا كلها . . كما شهد الانقلاب على الإخوان المسلمين وتصفيتهم ومصادرة مركزهم العام .

فترة هامة جدًا من تاريخ الحلمية . . ومساحات مضيئة في الليالي . . أسقطها المؤلف والمخرج اللذان تذكرا العوالم[1] والعُمد المغامرين وأبناء الذوات الغرباء عن الشعب بحياتهم وسلوكهم . . بينما نسيا الومضة المضيئة في تاريخ مصر بل في تاريخ العمل الإسلامي في العالم كله . .

مرة ثانية أقول . .

إن الإعلام المرئي كثيرًا ما يفقد الموضوعية . . ويتغرب بعيدًا عن هوى الناس وعقيدة الناس ودين الناس . . رغم دعوى «عمنا» فؤاد زكريا بأن جرعة البرامج زائدة تساعد على نشر التطرف ، وتعمل على تغييب العقول .

وإن الإعلام المرئي يقوم بمحاولات دؤوب للنيل من هذا المستضعف .

وإن مشايخنا ودعاتنا لا يعرفون من وسائل الدعوة وإظهار الحق إلا الكلام والكلام والكلام !!

أفهذا من كيس المسلم ؟!!

---

١ ـ العوالم جمع «عالمة» . . أي راقصة . . ولا أدري لماذا اشتق الناس لهنّ لفظةً من جذرٍ لغوي شريف مثل : علم الذي منه العلم والعلماء !!

فقهاء البلاط

● بعد أن أخذ الوهن يدب في شرايين الجسد الإسلامي ، نتيجةَ التهاون في الاستمساك بقيم الشرع الشريف . ظهرت وظائف جديدة تشغلها كائنات ذات مؤهلات وقابليات لا تتوافر كثيراً في سائر البشر . فوجد

شاعرُ البلاط الذي يتسول بالشعر ، ويبذل مقابلَ الدراهم السلطانية اللماعةِ أوصافًا زائفة ، وبطولاتٍ ، وأمجادًا ترفع ممدوحه أحيانًا إلى مرتبةٍ دونَهَا مرتبةُ البشرية . . كما قال اليهوديّ الأندلسي في السلطان العبيدي :

ما شئت . . لا ما شاءت الأقدارُ
فاحكم ، فأنت الواحدُ القهّارُ
وكأنما أنت النبيُّ محمدٌ
وكأنما أنصارُكَ الأنصارُ

ووُجدتْ وظيفة مهرج البلاط الذي يحترف التسرية ، واغتصاب البسمات ، بالتهريج الذي لا تنهض به أمة ، ولا يقوم على أساسه بنيان حضاري متين .

كما وجدت وظيفة كهرمان السلطان ، وجاشنكير السلطان . . و . . و . . .

لكن من أعجب الوظائف التي تحيّر الحليم : وظيفةُ فقيه البلاط .

ويكـون عادةً ممن درس علوم الشريعة ، يملك لسانًا زلقًا ، وقلبًا بليدًا تراكم عليه الران . كما أنه ذو مرونة عجيبة ، وقدرة مدهشة على تنـزيل الأدلـة الشرعية على واقع مزرٍ خسيس ، واستخراج نصوصٍ تسيغ ابتلاع الأحكام المعدّة في أروقة القسر والتسلّط .

وهـو عليم اللسـان ، طَب بتجهيز الحجـج ، والبحث عن الأدلة المحتملة في أطواء كتب فروع المذاهب ، وأثناءِ كتب التاريخ والأدب ، وحتى باختـلاق الأقـاويل ونسبتهـا إلى ثقـاتٍ بعيدين عن الإسفـاف والافتراء على الله تعالى وعلى دينه الذي هو أقوم .

وفقيه البـلاط أشبه بالطفيليات التي تقوم على حياة غيرها ، ترتبط بوجوده وتحيا بحياته .

ودائـمًا ما يدفع الكائن واهبُ الوجود لهذه الرِّمة الطفيلية حِفنًا من الـذهب اللماع ، أو رتبًـا سامقـة يتسنمهـا الكـائن الـطفيلي عن غير أجـدرية ، فهو أسرع من غيره تسلقًا لذرا السلم الوظيفي السرابي ، الـذي يزول بزوال الكيان المرضع ، فلا يلبث الخبءُ أن ينكشف ، والعوار أن ينجلي .

ويظهر أثر فقهاء البلاط واضحًا في تأخير سير الدعوة ، ووضع العراقيل والشبهات والأباطيل «القانونية» في طريقها ، وإعطاء الصكوك لكل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب ، ليقف عقبةً كأداء تحول دون انتشارها ، وتمنع تألقها وبزوغ شموسها .

● وقد بدأ ظهور فقيه البلاط منذ دخل صاحب القفا الكذاب على الخليفة المولع بتربية الحمام ، فانتحل روايةً يرضي به غرور السلطان : «روينا يا أمير المؤمنين أن رسول الله قال : لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح» .

● وظهروا أيام فتنة خلق القرآن التي انتفشوا إبانها وارتفع شأوهم ، في حين خُلع ذراعُ الفقيه الرباني العظيم ابن حنبل في السجن دون أن تلين له قناة فيتنازل عن حق يؤمن به .

● ومروا على أيام شيخ الإسلام ابن تيمية الذي خذلوه أمام القازان خشيةَ أن يطرطشوا بدمه .

وإني لفي شك من أنهم سيختفون في أيامنا التي برزوا فيها على أكثر من صعيد ، ولبسوا فيها غيرَ ما قناع :

● ظهروا وزراء للحكم الشيوعي الأفغاني ، يبررون وحشيته ويبايعونه على السمع والطاعة في المنشط والمكره . وإن تعجب فعجبٌ أن يكون لنجيب الله وأسلافه غير الصالحين وزراءُ أوقاف ومفتون وخطباء منابر لا يألون جهدًا في الطعن في البغاة الخارجين على الشرعية من حزب سياف وصحبه !!

● وظهروا منظّرين للتجمعات الشيوعية ، يهاجمون العلماء

المجاهدين ، ويسخرون من الشباب السالك سبلَ السلام ، ويتفننون في التهكم عليهم ، وتحريض الدنيا كلها ضدهم ، على ضعفهم وقلة حيلتهم وهوانهم على الناس .

● وخرجوا من عباءات الأنظمة البوليسية المتعسفة يسبحون بحمدها ، ويباهون العالمين بالنعم التي يسبغونها على الرعية من التجويع والتفزيع والترويع ، والقهر الذي تقصر دونه قامات الفاشيست والمانجست والنازست .

● ولبسوا مسوح الاستنارة والتجديد ، وتسنّموا منبر الاجتهاد الرفيع ، وكان لهم دائمًا من الإنس شياطين يمدّونهم في الغي ثم لا يقصرون ، يمتدحونهم ، ويشيدون بسعة آفاقهم ، ومعرفتهم العميقة بدين الله ، بينما يصمون غيرهم بأنه رجعي سلطوي سلفي جامد ، ولو جمع في صدره علم الأولين والآخرين .

● وظهروا دعاةً للأيديولوجيات المنحرفة ، يلتمسون لها الدليل من نصوص الشرع ، ويجتهدون في إضفاء الحجية عليها . وهم على أتم استعداد - إذا نالوا شيئًا - أن يحدثوك عن إسلام براجماتي ، وإسلام علماني ، وإسلام يساري ، وإسلام يهودي .

● وظهروا مفتين وقت الأزمات عندما تدعو الحاجة لتبرير انحرافٍ ، أو تسويق بضاعة ، أو تسويغ أمر مما عُممت به البلوى ، فيزينون للناس الفقر ، ويعوّدونهم الرضا بالقهر ، ويُعبِّدونهم للمتجبرين المتسلطين !!

● ولكن رياح التاريخ تذرو الهشيم ، وتحتفظ بحب الحصيد النافع للناس . وتأملوا معي :

★ هل احتفظت ذاكرة الزمان بواحدٍ ـ واحد فقط ـ من فقهاء البلاط؟!

★ وهل أبقى التاريخ إلا مثلَ سلمة بن دينار وابن حنبل والعظيم ابن تيمية وابن عبد السلام السلطان وسياف والقطب السيد ؟!

فهل يعتبر فقهاء البلاط ؟!

جاهليتان

● من المؤلم لنفس الحر أننا قد نضطر أحيانًا للبكاء على ماضٍ كنا نكرهه ، ونريد الانعتاق من إساره ، بسبب حاضرٍ هو أسوأ حالاً ، وأشد مرارة ، وأثقل آصارًا . تمامًا كما عبر الشاعر العربي :

رُبَّ يـوم بكـيْـتُ منـه فلـمـا
صـرتُ في غـيره بكـيـتُ عـلـيـه

والعودة بالذاكرة إلى بعض (مآثر) الجاهلية الأولى تجعلنا نترحم عليها نقمةً على السلوكيات «الحضارية» المعاصرة ، التي تخلو من الآدمية ، وتَعْرَىٰ عن الإحساس بالقيم ، وتتهادى في حرب الله عز وجل جهرة ، وتجعل من الحشرات والعقارب والمنافقين آلهة معبودين ، وتمجد الخوارج والمارقين ، وتصنع من الأقزام أبطالاً ، ومن سماسرة (الجملة والقطاعي) تماثيل وأصنامًا معظمة !!

● في الجاهلية الأولى :

خرج المسلمون من مكة تاركين وراءهم الصبيان والنسوان ، وهم على يقين أن المروءة العربية (الجاهلية) لن تمد يدها بأذىً لطفل ولا

امرأة ، ولن تنتهكَ حرمةً ولا عرضًا ، ولن تنتقم من الرجال باستحياء النساء وقتل الأبناء !!

● وفي الجاهلية الأولى :

قاطعت قريش النبي ﷺ وأصحابه ، فأحسّ بعض (الجاهليين) بما يلاقي المسلمون من معيشة ضنكٍ ، وما يجده الأطفال من عناء ، **فسعوا إلى نقض الصحيفة ، ونجحوا في ذلك ، مروءةً منهم ورجولة !!**

● وفي الجاهلية الأولى :

كان الرجل يجد وجيهًا أو سيدًا من المسلمين يريد ترك الديار ، والهجرة ، فيستحلفه ألا يفعل . . **ثم يدخله في جواره ليفديه ـ عمليًّا ـ بجاهه ونفسه وأبنائه** . . وقد كان من شيمة أهل (الجاهلية) الأولى **ألا يخفروا جارًا ، أو يهدروا ذمة ولواذًا!!**

● وفي الجاهلية الأولى :

كانت العصبية أداة حماية لكثير من المسلمين ، وكان أحدهم إذا رأى أحدًا من عصباته أو أصدقائه في بؤسى غضب له وحماه وأعانه .

● وكان المنافقون يصلون ويصومون ويزكون ويجاهدون ، ويبذلون الكثير من الطاعات (الظاهرة) **حتى إن الصادقين ما كانوا يعرفونهم لشدة شبههم بالمسلمين !!**

● وفي الجاهلية الأولى :

كان التعذيب أحيانًا لا يتعدى الصفع أو الضرب ، ولم تعرف إلّا حالات قليلة تمادى فيها (الجاهليون) وبالغوا في الإيذاء . . كما في حالة آل ياسر وأشباههم !!

● أما (الحضارة) المعاصرة :

فلا أشك لحظة أن الجاهلية الأولى تتضاءل دونها خجلاً . .

● فهي التي تفننت في انتهاك الأعراض واختطاف النساء ، **وإقامة معسكرات (حَبَل) جماعية للمختَطَفات المنتَهَكات** .

● وهي التي علمت بالجفاف في العالم قبل وقوعه «عن طريق الأقمار الصناعية وأجهزة السونار» بأربع سنين . . **ثم وقفت تتفرج حتى سقط مئات الألوف من أبناء المسلمين ضحايا للجوع والجفاف والنذالة** وخسروا زروعهم وضروعهم وديارهم وأموالهم .

● وهي التي تفضّل أن تلقي بجبال الزبد وتلال القمح ، وتتوقف عن الزراعة مواسم متعددة ، **حتى تحافظ على الأسعار مرتفعةً ، ولا تهبها الشعوب التي تموت جوعًا** ، حتى يبقى الناس راكعين أذلة .

● وهي التي قطعت الأرحام ، وفصلت بين أبناء العائلة الواحدة ، ووزعتهم بين الدول وبين المدن ، وأحيانًا خلف خط من الأسلاك الشائكة ، **حتى بات الزوج يكلم زوجه وأبناءه عبر الأسلاك الصناعية** .

● وهي التي «أفرزت» أناسًا لا يصلون ولا يصومون ولا يعرفون معروفًا أو ينكرون منكرًا ، ويملكون ـ مع ذلك ـ من الوقاحة ما يجعلهم

يعتقدون أنهم أفهم للإسلام ، وأكثر عملاً له من السلف الصالح كله .

● وهي التي تفننت في التعذيب وانتهاك كرامة الإنسان ، مستخدمة مئات الوسائل التي تجسد معنى «قهر الرجال» الذي استعاذ منه سيدنا رسول الله ﷺ .

● وهي الوقاح التي باتت تستعد ـ داخليًا وخارجيًا ـ لعملية استئصال شاملة للإسلام والمسلمين ، وتجهر بوجوب التفرغ للعدو الأكبر : الإسلام والأمة الإسلامية ، ليحصدوها جميعًا : ملتزمين ومنحرفين ـ معتدلين ومتسيبين ومتطرفين ـ صادقين ومنافقين ـ حكامًا ومحكومين ـ موسرين ومعدمين .

اذكروا أثيوبيا ، وبلغاريا وألبانيا ، والصرب ، وكرواتيا ، وأذربيجان ، وأوزبكستان ، وكشمير ، وطاجيكستان ، وبورما وتايلاند .

واذكروا كثيراً من الاشتراكيات الملهمة التي مهرت في تجويع الناس بعد شبع ، وتخويفهم من بعد أمن ، وتعريتهم من بعد استتار ، وإفقارهم من غنى ، وإذلالهم من عز . .

● وانتبهوا لغزوات تترية قادمة . .

● وتحسروا معي على أيام ابن الدغنة وأبي البخترى وأبي طالب . . وابن سلول !!

● في محاولة للتغيير والإفاقة تمخضت المرحلة العُثائية التي تعيشها أمتنا الماجدة عن مدٍّ إسلامي شبابي واضح ، وعن عودة إلى الجذور قوية لا تحتاج إلى شيء أهم من الترشيد والتصويب ، وإلى اللمسات الحانية من الأساة النطس ، الذين يستطيعون إدراك العلة وتشخيصها ، وتقديم الترياق الناجع الذي يذهب بالداء إلى غير رجعة ، ويترك بنيان الضحوة معافى سليمًا .

وككل عمل وليد يتم دون ترشيدٍ مُعايشٍ متفاعل ، كان هناك بعض التفكير الذي لا يواكب شمولية الإسلام ، وإن كان في ذاته أخذًا بحكم من التتميميات أو التحسينيات التي ترتبط بها حياة الفرد ونجاته في الدنيا والآخرة .

وكان جلُّ الخلايا الفاعلة في جسد الصحوة من الشباب الجامعي الذي يوشك أن يترك مقاعد الدراسة ليواجه الحياة بأعبائها وتكاليفها : الزواج ، والعمل ، والتفاعل الاجتماعي المستقل .

ومن الطبيعي ـ بل الحتمي ـ أن تشب إلى أذهان أولئكم المباركين

أسئلة ملحة تشبه أن تكون قواسم مشتركةً بين الشباب جميعًا ، وتحتاج إلى فتاوى عاجلة وسريعة ، حتى إنك كنت تجد السؤال يتردد من أقصى القطر إلى أقصاه :

● أنا مقبل على الزواج ، فكيف ستكون صورته ؟

وكيف سيكون زي الزوجة المرتقبة : أتنتقب أم تسفر ؟

وكيف سأعامل أخواتها وقريباتها من النساء ؟

هل سأدخل عليهن أم سيسترن مني ؟

● أنا مقدم على العمل لبناء مستقبلي : فهل كل عمل يعد مشروعًا جائزاً ؟ أم أن هناك أعمالاً لا يجوز أن أقربها ولو كانت من صميم تخصصي ؟

وكيف سيكون الزي الذي أرتديه لأميز نفسي عن سائر الناس .

● هل سأبقى ملتحيًا أم يجوز أن أقصر لحيتي ، أم يجوز لي إزالتها ؟

●هل . . وهل . . وهل ؟

وحين بحث الشباب عن إجابات لهذه التساؤلات الملحة والأسبق من غيرها في سلم أولوياتهم آنئذٍ . . عزّ عليهم أن يجدوا الإجابة إلا ممن لا يثقون بفتواه ـ بسبب أن كثيرًا من أهل الخير والخبرة في الدعوة كانوا يلملمون جراحاتهم التي أثقلهم بها الثوريون الأحرار ، ولأن كثيراً منهم كان قد استطاب مرعىً غير المرعى الوخيم الذي نُكب فيه ، فهجر المعترك ، وذهب بعيدًا بعيدًا . وفقدت الساحة علماء متميزين ، جمّدتهم الدعة وخدّرهم الاجترار ـ فراح كثير من أولاء الشبان ـ على قلة البضاعة

وضحالة الفقه ـ يبحث ، وينظر ويطلب الإجابة الشافية على تساؤلاته .

وظهرت مدارس وآراء ، وغاص الشباب في أعماق كتب السلف ينقبون ويفتشون . وأنس بعضهم إلى رأي فتبناه ، واستمسك به لرجحانه عنده ، وأنس آخرون إلى رأي ثانٍ فمالوا إليه واستمسكوا به ، **وإنك لواجدٌ حتمًا لرأي هؤلاء وأولئك دليلاً شرعيًا ، وسلفًا من علماء الإسلام المتبعين المرضيين .**

بعضهم رأى وجوب النقاب واللحية . .

وبعضهم رأى سُنِّيَةَ النقاب واللحية . .

وفريق آثر العمل الحر على الوظيفة العامة . .

وطائفة استجازت التوظف (الميري) ولم تجد به بأسًا .

وغلا قوم ـ نتيجة القصور والضحالة ـ فكفروا المسلمين أو فسقوهم .

ـ وهؤلاء خارج نطاق كلامي هذا ـ

وطبيعي أن يكون لكل صاحب قناعة شيء من العصبية لقناعته ، خصوصًا إذا كان على غير علم ، أو غير تجرد ، أو كانت العصبية في ذاتها له دينًا وقناعة ، كما نلحظ عند عدد من المنتسبين للعمل الإسلامي .

وكل هذا في ظني لم يكن مشكلة ، **إذ لا يحتاج أكثر من فتح الصدور وكفكفة الاندفاع ، وترشيد الاتجاه ، على عينِ علماءٍ عاملين من أهل القبول والرضا .**

● ولكن كثيرين لم يحسنوا فهم طبيعة المرحلة ، بل كانت قسوتهم على الشباب أعظم من قسوة غيرهم ، بل ربما نزعم أنهم سَنّوا القسوة على

الرعيل الذي تشبث بحكمٍ ، أو تمسك برأيٍ لم يكن له موجّه حين ارتآه فأرادوا أن يحمّلوه النتيجة دون أن يكون لهم كفل منها .

وكتب كثير من أهل الفضل لائمين ومقرّعين الشباب التافه (الذي يهتم بالقشور لا باللباب) بل لا تزال كتابات كثيرة تنضح باللوم ، وتحمل المضامين نفسها ، رغم أن كثيراً من شباب الرعيل الأول تخطوا هذه المرحلة وصاروا من المبرزين في ميادين شتى .

فهل كان الشباب معذورين أم غير معذورين ؟

وهل كان العلماء محقين أم غير محقين ؟

وهل منهج الإسلام في التعامل مع من يخالفنا الرأي - في إطار القبول - أن نسل عليه سيوف البطش والتعييب والاستنفار الأحمق المزري ؟

وهل استمرار التلاوم حتى يومنا هذا دليل يقظةٍ وبُعد نظر ، أم هو أمارة غفلةٍ وقصور عن فهم المعطيات التي تمليها مراحل الدعوة ؟

وهل الاكتفاء بالتفرج على الساحة دون مشاركة فعلية أجدى، أم المعايشة الدائمة التي لا تنقطع للشباب ، والنزول إلى معترك العمل في ميدانه ، كما فعل المصطفى ﷺ في مدرسة دار الأرقم بمكة ، وفي مسجده بطيبة الفيحاء ، وكما فعل ابن تيمية العالم المناظر المجاهد الصابر والمصابر ؟ وكما فعل حسن البنا الذي كان يبيت ليلة شمالي القطر، وليلة جنوبيّه بين جنود الدعوة ؟!

هل نلوم الشباب ، أم نلوم العلماء ؟

● قلت إن كثيراً ممن انتقدوا الشباب ، وسلّوا عليهم أسياف العذل والتقبيح لم يكونوا من الفصيل الذي يسكن مع وقود الصحوة الخندقَ نفسه ، لا يعانون معاناتهم ، ولا يدركون ـ بعمق ـ الضغوط الهائلة التي تمارس ضدهم

إلا كما يدرك السامع واقعةً نزلت بعيدًا عنه ، فمهما كانت سعةُ خياله ، فإن الصورة لن تكتمل لديه اكتمالها في خاطر من مسّتْهُ نارُ الواقع .

وكانوا دائمًا خارج إطار المعايشة «اللصيقة» شاردين كالطيور المهاجرة لا تعود إلى مواطن تفقيسها إلا مرة في العام ، ولا يعيشون الصحوة إلا أخبارًا وحكاياتٍ ومرويات ينقلها الثقات وغير الثقات .

وما هكذا كان القادة الأئمة أهل الصفوف الأولى ، بل أولَ القابضين على الجمر كانوا : (كنا إذا حمي الوطيسُ اتقينا برسول الله ﷺ) .

وما هكذا كانت معايشة الرسول ﷺ أصحابه ، الذي كان يجوع حتى لا يوقَدَ في بيته نارٌ ثلاثة أهلة ، وما هكذا عمر الفاروق الذي كان يربط على بطنه المقرقرة الحجرَ من الطوى عام الرمادة ، وما هكذا حسن البنا وسيد قطب رحمهما الله اللذان عاشا في مقدمة الصفوف .

ومما يحسُن إيراده في هذا الموضع موقف العلامة عبد الحميد بن باديس

[١٨٨٩ ـ ١٩٤٠] الذي سافر للحجاز حاجًّا سنة ١٩١٢م وعرض عليه أن يجاور بالحرمين ـ وكانت بلاده تتعرض لمحاولات شرسة لطمس هويتها الإسلامية ـ فرفض وقال :

«نحن لا نهاجر ، نحن حراس الإسلام والعربية في هذا الوطن» .

ومكث بعد ذلك ثمانية عشر عامًا يعدّ جيلاً جهاديًّا ، قائلاً :

«أنا لا أؤلف الكتب ، وإنما أريد صنع الرجال» فكان يعظ في المساجد ، ويفسر القرآن ، ويعلم العربية **«للأطفال»** ويجوب القرى والمدن ، ويصعد الجبال . [عمارة ـ تحديات لها تاريخ ـ ص ٢١٠] .

● ولقد أشار العلامة القرضاوي إلى ذلك حين تكلم عن **فقه المعركة** ، وجعله الفقه الحقيقي الذي ينطلق من معايشة الناس ، ومعرفة ما هم فيه ، وأن الفقيه الحق هو الذي **يزاوج بين الواجب والواقع** كما يقول ابن القيم رحمه الله ، فلا يعيش في دائرة ما ينبغي أن يكون ، غافلاً عما هو كائن وواقع بالفعل ، لأن فقه الدين لا ينفصل عن فقه الحياة ، وهو الفقه القرآني (فقه الدعوة جـ ٢ ـ ص ١٨٨) .

● كما تحدث بعض العقلاء عما أسموه **«فكر الأزمة»** ويعنون به **حتمية اتجاه التفكير إلى منحىً متوتر ضيق ، نتيجة ضغوط شديدة ، وممارسات فوق الاحتمال** .

وقد كتب كثيرون عن بعض الحالات التي جمعتها منظمة حقوق الإنسان ، وبعضها مما تُشيب قراءتُهُ الرأسَ ، فضلاً عن معايشته

والتلظّي بجحيمه[1] ، مما يجعل العاقل يلتمس للشاب سبعين عذرًا بدلاً من عذر واحد .

والواقع أن العالم المحايد الذي يعيش الحدث فعليًّا يقدم دائمًا العذر على اللوم ، ويبادر بالإشفاق قبل الاستعداء .

وليس معنى هذا أنه يوافق على تصرفات المأزوم ، لكنه يعذره ، ويحاول أن يمدّ يده رحمة وحنانًا ، خصوصًا وأن كلاب الدنيا تتمالأ على الشباب المسحوق تحت مطارق الملاحقة ، والإفقار ، وغياب فرص العمل ، وحاجة الأبناء المُجْبَنَة المبخلة ، وتنكّر الأقربين ، وتحوّل بعض حالات الاعتقال إلى فرص للشماتة بدلاً من ذرف الدموع .

● ولقد رأينا جماعة من العلماء المحترمين ذوي الوجاهة والقبول يرون فيعذرون ، ويُبتلون فيصبرون ، ومنهم الدكتور عبد الله رشوان الذي يحاول أن يكون دائمًا في الصف الأول .

وقد حكي لي ـ والعهدة على من روى ـ أن بعض الغلاة من شباب التكفير اعتدوا عليه بالضرب في السبعينيات ـ أيام ارتفاع هذا التيار الجافي ـ برغم سنّه ، وبرغم وجاهته ، لكنه بتفكير الأب الحاني ، والداعية الحصيف فقيه المعركة ، أبى حتى أن يشكوهم إلى الشرطة ، وأصر على أن يكون الأمر بينه وبينهم بل ترافع عنهم أمام القضاء لأنه

---

١ ـ كتب كثيرون عدة كتب تصور معاناة القابضين على الجمر وما لاقوا ويلاقون ، من أشهرها كتاب لزينب الغزالي وآخر لجابر الحاج . . ومن أهمها نونية القرضاوي التي وثّق فيها قهر الرجال في شعر وصفي صادق . . فتأمل .

كان يرى أن تصويب مسارهم لا يكون بالكّي بالنار ، بل بالمحاجة والحوار .

ومنهم **الشيخ المحلاوي** المقاتل الوديع ، والشيخ **صلاح أبو إسماعيل**[٢] الذي يجد قبولاً عامًّا لدى فصائل الصحوة بسبب حضوره الدائم ، ولطفه الدائم ، وابتسامته الدائمة ، ويده الممدودة دائمًا لتأسو الجرح وترقأ الدمعة .

● وأكاد أزعم أننا بقدر ما نجد من بعض شبابنا ـ وهم قليل ـ العِوج والغلو ، فإننا نجد من بعض شيوخنا كثيراً من **الإسقاط التبريري الذي يوارون به بُعْدَهُمْ عن حقول الدعوة** ، والتصويب والدلالة على الخير ، واتخاذهم ما يشبه موقف المتفرج الذي يرى حدثًا عنيفًا ، وهو جالسٌ على مقعده الوثير مادًّا قدميه يتنقّل ويتجشأ ، ولا يكاد يبالي لأن الحدث وقع بعيدًا عن الغرفة التي تمدد فيها ، وقصاراه أن يمصّ شفتيه أو يزم حاجبيه ، ثم يعود إلى التنقل والتجشؤ . . فهل هذا معقول ؟!!!

---

٢ ـ رحمه الله رحمة واسعة .

● قبل عقود قليلة كانت الفاعلية الإسلامية مشلولةً أو تكاد . . بينما يتمخض العالم كله عن يقظة ، ويسفر نور التفكير الإنساني عن عشرات الأيديولوجيات التي تؤكد حيرة الآدمي الذي جعله ربنا سبحانه وتعالى في الأرض خليفة ، وتشير بأصابع الإدانة والاتهام إلى المسلمين الرقود الذين ما عمروا دنيا ، ولا مهدوا الطريق لأخرى .

لكن العملاق يمل الرقاد ، ويسأم الضعف والهوان ، فتتفجر ينابيع الفاعلية هنا وهنالك ، وتتحرك جملة من التيارات التي قدمت ـ ولا تزال ـ من أجل أن تكون كلمة الله تعالى هي العليا .

وعلى عكس كثيرين ممن يغتمون من تعدد الأسماء وطرائق العمل ، فإنني أجد للأمر وجهًا إيجابيًا عظيمًا ، لا ينقصه إلا الترشيد الذي أضعه أمانة في عنق أمناء الدعوة ممن حملوا همومها ، وآدتهم آصارها سنين طوالاً . والذين لم يسعدونا طوال نصف قرن أو يزيد بمحاولة واعية متكاملة للتقارب ، أو إزالة أسباب الشقاق ودواعي التنازع التي تُذهب الريح ، وتشل المسيرة .

● ففي مواجهة ضغوط المعاصرة والتحديث قامت جماعة مباركة ،

مَهَـرَتْ في العمل التنظيمي الحركي الذي يحسن التعامل مع الساحة السياسية والفكرية ، واستطاع روادها بحس جيد أن يواجهوا شياطين التغريب وأساطين الإلحاد .

● وفي مواجهة التسيب الذي ألقى بكلا كله في ساحة تطبيق الدين والإقبال على السنة والغربة التي عاناها حديثُ المصطفى ﷺ ـ حتى إنك كنت تجد من الدارسين بالأزهر كثيرين لا يعرفون أن البخاري صحيح كله ـ في مواجهة ذلك نهض عدد من الغُيُر يهتمون بالسنة ويذبون عنها ، فبوركت جهودهم ، وأحدثت إقبالاً حسنًا على إحياء السنة والتمسك بحبالها .

● وبـانتشـار عبـادة القبـور وتأليه الموتى ، والطواف حول الكعبات الزائفات . . المزينة بالذهب والفضة والحرير والديباج ، والتي انتشرت في أنحاء العالم الإسلامي بمباركة فقهاء السلاطين . . قامت جماعات جعلت همهـا الدعوة للتوحيد ، وتنقية العقيدة ، وصرف عباد الله إلى إخلاص العبادة لله الواحد القهار .

● وفي ظل الإحساس بالضعف والمهانة ، والشعور بالانسحاق أمام الاستكبار الاستعماري قامت جماعات جهادية أكدت أن المسلم لا يزال مستعدًّا لبذل نفسه ونفيسه في سبيل معتقده وشريعته . . وآخرها حماس المباركة ، وقبلها الجهاد الأفغاني الألاق .

● وفي غمار إقبال الناس على الدنيا وافتتانهم بزخرفها الخلّب ـ وبعيدًا عن الصـوفية المميتـة للدنيا والدين ـ برزت تيارات تدعو للإقبال على المساجد وإعمارها لتعود إلى دورها الريادي الفعال .

● وقل مثل ذلك في الاقتصاد الإسلامي والأدب الإسلامي وهيئات الدعوة والإغاثة . . و . . و

ولا يختلف اثنان أن كل طائفة من أولئكم على ثغرة من ثغر الإسلام العظمى . وإن أحسنت الحركة والتخطيط والعمل قدمت لدينها خدمة جُلّى ، وأعذرت لربها عز وجل .

لكن يبقى الوجه الآخر للقضية :

كارثـة الغلو الذي يصيب أفراد كل فريق - ولا أستثني أو أتحفظ - فيشـوه صوت العمل وصوابه ، تمامًا كما فعل المتأخرون من أصحاب المذاهب العظمى الذين قاسوا المرأة الحنفية على الكتابية في جواز التزوج منها ، وكفّروا من يقول إن الرحمن على العرش استوى تقبل عقيدةً على ظاهرها (!!؟)

وهذه آفة إن سقط فيها الصغار لقلةٍ في البضاعة أو ضبابيةٍ في الرؤية فلا أكاد أفهم سر سقوط كثير من الكبار فيها وإن زعموا غير ذلك .

والمسألة التي تدهشني أن كثيرًا من عظمائنا وعلمائنا الأجلاء يقررون ذلك ويحذرون منه ، ويدعون إلى التقريب وجمع الشمل ، لكني ما أجد أبـدًا محاولـة متكاملة دؤوبًا للتقريب وإذابة الفوارق عمليًا وبعيدًا عن التنظير والكلام المسطور .

يا سادتي . . هذا بلاغ . .

يكفينا عقدان من التلاوم وتبادل الاتهامات

● الشرق والغرب ينسيان صراعهما التقليدي ، وحروبهما الساخنة والباردة من أجل مصير مشترك يربانه ، ومن أجل أن تقوم جبهة قوية ضد أعظم الأخطار وأشدها في نظرهم : ضد الإسلام .

● والقوميون يحاولون إسدال ستار صفيق على ماضيهم المخزي وممارساتهم البشعة ضد الإسلاميين ليلتقوا معهم حول بعض محاور الالتقاء .

● والساسة كثيراً ما يشكلون حكومات ائتلافية تضم في داخلها الأحزاب المعارضة :

فهل تطلع علينا شمس يوم نجد فيه بطون العمل الإسلامي جميعًا على مائدة واحدة ، تتطلع إلى وجهة واحدة ، وتتحرك طبق خطة واحدة دون إضاعة الوقت في التراشق اللفظي والتلاوم الغبي ؟! :

هل تطلع علينا شمس يوم نصدر فيه ـ كما صدر عن أبناء الخنازير ـ بروتوكولات[1] طويلة النفس ، تعيد للإسلام فتوته ، وتقطع ألسنة الخفافيش والأفاعي والضباع ؟!!

متى تطلع علينا شمس الالتئام ؟

---

١ ـ صدر أخيراً كتاب عنوانه «مشروع بروتوكولات لحكماء يعرب» من تأليف أكرم عسكر الناصر، ركز في طرحه على الفكرة القومية أكثر من الفكرة الإسلامية معتمدًا على أن المواقف في المجتمعات الصناعية أصبحت تركز على النواحي الدنيوية ، وهذا خطأ واضح فإسرائيل ـ مع معرفتها بالموقف في الدول الصناعية أكثر منا ـ لا تزال تقوم على الأمر من زاوية توارتية عقائدية . انظر العرب ـ ١٤/٦/١٩٩٠م .

فارس أحلام الصحوة

● لا تخلو أحلام كلُّ فتاةٍ شابة من تصور مثالي لزوج المستقبل ، أو ما يعبر عنه المتأدبون بفارس الأحلام ، في هيئة مثالية في شكله وعقله وثرائه وفتوته ، وهي مرحلةٌ لذيذة عذبة ، لولا أنها خيالية لا تقوم على أرض الواقع . بسوقٍ ولا عَمَدٍ ، لأن الذين يتقدمون يكونون غالبًا بين عاقلٍ مُكْدٍ ، أو قوي غبي ، أو ثري مغموص ، أو . . أو . .

وفي إطار العمل الإسلامي ـ وتحت وطأة المعاناة ، وأثقال التقصير ـ يتطلع الحالمون إلى فارس الأحلام في صورة مهدي يصوغه خيالهم ، وتشكّله أحلامهم ورغائبهم ، يؤمنون به رغم أن كل القرائن تؤكد أن المهدي الذي وردت الإشارات إليه في بعض كتب السنة لما يظلّنا زمانه .

بل كثيراً ما خرج هنا وهناك من يزعم أنه المهدي بشحمه ولحمه ومواهبه ، ثم يتمخض الجبل فيلد بدعًا ومنكرات ، وتنكّبًا للسنة ، بل ربما ولّد كفرًا وضلالاً وزندقة .

وواقع المسلمين لا يحتاج علاجًا سحريًا ، ولا يحتمل الآن متمهدين ، بل يحتاج إلى قادة رعاةٍ يملكون من الوعي القيادي ما

يستطيعون من خلاله أن يقودوا الأمة نحو مرافىء السلامة ، وشاطىء الرشاد دنيا وأخرى .

والواقع أيضًا أن لدينا الكثير من الدعاة أو العلماء المبرزين في أفانين العلم الإسلامي معظمها أو قليلٍ منها ، ولدينا الفقهاء واللغويون والمجاهدون السياسيون والمحدّثون ودارسو التيارات . . ولكن . .

ولكنا لا نملك القادة الرعاة . . أو لا نملك الداعية القائد الذي يمزج بين الدعوة الذكية المتوازنة وبين القيادة بما تتطلب من مواهب وطاقات ، وعكوفٍ وعناءٍ لا يطيقه جسد الباحث العالم ، ولا تسعه طاقة الداعية غير الموهوب .

وقليلون هم القادة عبر التاريخ الذين استطاعوا تجميع المسلمين حولهم ، واستطاعوا استئناس النافرين ، واسترجاع الشاردين ، في نفس الوقت الذي تمكنوا خلاله من إبراز الهوية الإسلامية للأمة ، وأحيوا السنن المماتة والفرائض الملغاة ، وردّوا اعتبار المحرمات المستباحة .

ويتحدث علماؤنا اليوم عن **الاجتهاد الجماعي** بعد عجز عقل الفرد الواحد عن ملاحقة المعطيات الكثيرة التي تحيط بالمسألة الواحدة أحيانًا ، ولذلك يزكون قيام مجامع الاجتهاد وتبلور الفقه المجمعي .

وأعتقد أنهم يوافقون أيضًا على قيادة جماعية تضم أكثر من عقل ، وأكثر من نمط تفكير . تجمعها قواسم مشتركة ، ليتحرك العمل الإسلامي من خلالها رشيدًا شاملاً رحبَ الآفاق .

بشرط أن يكون على رأس هذه القيادة الجماعية رمزٌ

نعم رمزٌ يشبع في الأذهان فكرة فارس الأحلام ، ويكون رجلاً تقيًّا واعيًا ، وأبًا رفيقًا حانيًا ، وعالمًا ربانيًّا فوق الطعن واللمز ، فإن فكرة الارتباط مهمة ، وفكرة توفّر الرمز كذلك مهمة ، فإننا نرى المسلمين صغارًا وكبارًا لا يزالون يستنجدون برموز الأمة الموتى كصلاح الدين الذي أرقناه في مضجعه من كثرة ندائنا له ، وكعماد الدين زنكي وقطز وابن تيمية . . حتى ضاق من ظاهرة الاستنجاد بصلاح الدين الشاعر أحمد مطر الذي استنكر على الناس كثرة استنجادهم بمن يستحيل أن ينجدهم أو يغيثهم فهتف :

كم مرةٍ في العام توقظونه
كم مرة تحت سوط الجبن تجلدونه
وغاية الخشونة
أن تهتفوا : قم يا صلاح الدين قم
حتى اشتكى مرقدُهُ من حوله العفونة
دعوا صلاح الدين في ترابه واحترموا سكونه
فإنه لو قام حيًّا بينكم
فسوف تقتلونه !!

وأعتقد أن ندرة الانقسامات في فصائل العمل الإسلامي أوائل هذا القرن وحتى خمسينياته قياسًا إلى حجمها الزائد الآن كانت بسبب وجود (رمز) استطاع أن يكسب حبَّ الناس ، ويجمعهم حوله ، ويجعلهم يحيون الإسلام والعمل الإسلامي ، وبغياب من يملك ـ مثله ـ صفات القيـادة ـ وإن وجـد العلم والتقوى ـ تعمقت الأخـاديـد واتسعت الخروق ، وبات الناس في العمل للإسلام ينتقلون من أقصى التسيب والتفلت الوقح إلى أقصى الغلوّ وسوء الفهم الذي لا يستوعب آيةً ، ولا يدرك سنّةً إلا من خلال فهمٍ مريض وإدراك قاصر .

وربما كان علماؤنا معذورين ـ إذا لم يملك معظمهم صفة القيادة ومواهب القائد ـ لكننا بمجموعنا غير معذورين في غياب القيادة ـ ولو جماعية ـ التي ترشّد العمل وتصوب المسيرة في مواجهة عشرات بل مئات التيارات التي يجمع بينها كرهُ الإسلام والحرص على تنحيته وإقصائه عن ساحات الفاعلية والتأثير .

كي هال هي[1]

● فاسلاف هافيل مشاغبٌ قصير القامة ، أوصله شَغَبُه لحكم شعبه ، وأهّلته حريةُ فكره ، ومواقفه التي عانى لأجلها أن يكون رئيسًا لتشيكوسلوفاكيا .

وقف بجانب الرئيس بوش في جمع دولي حاشد تحوطهما وسائل الإعلام التي تنقل همسهما للدنيا كلها . . ثم قام يتحدث - وهو أديب وكاتب مسرحي - فحيا الموجودين تحيةً رقيقة بالإنجليزية ، ثم توقف لافتًا أنظار الناس إلى أنه يريد أن يسمعهم شيئًا جميلاً على آذانهم .

يُريد أن يسمعهم حلاوةَ لغتِه الأم . . اللغة التشيكية !!

وصفقوا جميعًا . . فواصل خطابه بلغته ، بعد أن بدأه بلغتهم .

وهي لفتةٌ حسنة تدل على اعتزاز ووطنية . . ألح بسببها على ذهني سؤال :

كم عدد الذين يتحدثون بالتشيكية في الدنيا . . وكم عدد الناطقين

---

١ - كي هال هي : كلمة أوردية معناها : كيف حالك .

باللغة العربية والمؤمنين بكتابها الكريم ؟! وهل ترقى التشيكية (الهجين) في المرونة والروعة أن تكون كالعربية ؟!

أشك في هذا ألف مرة . .

فإن لغتنا مصطفاة ، اختارها الله تعالى (دون اللُّغَى) لتكون وعاءً لكلامه الحكيم . . وهي أيضًا وعاء السنة المطهرة ، ولسان أهل الجنة ، ولغة الملائكة الكرام الذين يسلّمون على الواردين إلى الرضوان .

- ليس بقولهم : **شالوم** .
- ولا بقولهم : **هاي** .
- ولا بقولهم : **بون جور** .
- **ولا كي هال هي** . .

بل تتلقاهم الملائكة بلسان عربي مبين :

﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار﴾

لقد أعجبني كثيراً موقف هافيل . . كما أحزنني حالنا كثيراً . .

- **فالعجمة صارت شعارنا ودثارنا** ، ومنطقنا يقظة ومنامًا . . وإن أفصحنا كثيراً ما (يلوي لسانه) بكلام لقيطٍ لا جنسية له .
- بل إن مؤسساتنا ومرافقنا تحتاج إلى تعريب ، بعد أن غزتنا لغاتُ غيرنا في عقر دارنا . . وما غزي قومٌ في ديارهم إلا مُسخوا ، وتغيّروا ، وقلدوا غزاتهم .

إن قطاعات واسعة في مجتمعاتنا تتحكم فيها لغات غير العربية . . وصارت كما قال المتنبي :

مـلاعـبُ جـنـةٍ . . لـو سـار فـيـهـا
سـلـيـمـانُ لـسـار بـتـرجـمـان

● هافيل يعزز لغته ـ في مطلع عهده بالحكم ـ ويتعصب لها على مرأى من العالم ومسمع . .

● واليهود (عَبْرَنُوا) الفيزياء والطب والهندسة وحياتهم كلها . .

● والفيتناميون . . واليابانيون . . و . . و ، فإذا ما جئت لتتحدث مع مثقفينا ـ بل وأشباه المتعلمين فينا ـ لوجدت كثيراً منهم يرطن نصف كلامه برطانةٍ أعجمية . . عجزًا وافتنانًا .

وكثير من محترفي الكتابة وأصحاب (الممارسات) الإعلامية بينهم وبين (اللحن) صداقة حميمة ، وهوىً يدفعهم دفعًا لتحطيم اللغة وتعدي حدودها وضوابطها .

وكثيرون يكتبون بطريقة مُقَوْلَبَةٍ قياسية ، دون طلاوةٍ في العبارة ، أو إشراقة في السياق !!

حتى إنه ليندر أن تجد أصحاب الأقلام الرشيقة التي تجعلك تعشق طريقتهم ، وتقع أسير فتنتهم اللغوية المهيمنة .

ـ كم لدينا ممن يحسنون إبداع جملٍ رشيقة كالرافعي ؟!

ـ وكم فينا ممن يتفنن في تجميل عبارته كمحمد الغزالي ؟!

ـ وكم فينا ممن يجيد عرض فكرته من خلال وعاءٍ منتقىً يشدّ السمعَ وينفذ إلى الوجدان كالطبيب الأديب الداعية حسان حتحوت ؟!

- وكم في شبابنا من يحسن المزج بين رقيق القديم والجديد كرشدي إبراهيم ؟!

فمتى ننصف لغتنا من أنفسنا ؟

متى ننزل لغة أهل الجنة وملائكة الفردوس منزلتها اللائقة بها ؟ . . متى ؟!

القـرَدَانيـة

● **جون لافن** يهودي خبيث ، لم يُضِعْ وقتَهُ في سبّ أبناء الخنـازير من اليهـود ، ولا في البحث عن إثباتات وأدلة يتهم بها إخوانه ـ كما يفعل بعضنا ـ بل كثف جهده لنصرة بني جلدته بالتنظير والبحث الميداني .

فألف عدة كتب منها : الفدائيون ـ العقل العربي ـ العقل الإسرائيلي ـ وكتاب : الإسلام الخنجر[1] The Dagger of Islam وهو من الكتب الخطيرة جدًّا التي نشرت في أوروبا لحرب العرب والمسلمين عن طريق الكلمـة والفكـرة . . ينضح بالحقد الفظيع ، والكره الأعمى لكل ما يحمل اسمًا له علاقة بالإسلام حتى ولو كان عدوًّا لهذا الإسلام مخالفًا له .

ويستخدم لافن ـ شأن اليهود ـ الكذب والتلفيق وقلب الحقائق ، ويركز على أخطاء المنحرفين ممن لا علاقة لهم بهذا الدين .

● فالإسلام دين مقامرة وسرقة لأموال الناس لأن فلانًا وفلانًا قامروا بالملايين .

---

(١) The Dagger of Islam - John Lavin , Sphere Books Ltd . 1979

● وهـو دين شهـواني شاذ . . لأن فلانًـا وفـلانًـا داعـرون يمارسون الانحراف وأخبارهم في صحف أوروبا منتشرة متواترة .

● وهو دين لا يعرف الوفاء بالعهد على أعلى المستويات فيعدك أحدهم بموعدٍ ثم يأتيك بعده بأسابيع أو شهور .

● وهو دين دموي يدعو للقتل بلا شفقة [وعلى الغلاف واحدٌ من ملالي إيران معممٌ يحمل بندقية] .

ومما يثير الحنق أنه أسقط سلوكيات أناس ممن يحاربون من هؤلاء الأعداء اللّدّ رموزًا لتطبيق الدين الحنيف (!!) .

تمامًا كما فعل الثوريون البواسل حينما لفقوا للشيخ الفيل ـ وكان قاضيًا شرعيًا منذ ما قبل الثورة المباركة ـ تهمة الشذوذ . . وبنوا على التهمة الملفقة وجوب أن تُغْلَقَ المحاكم الشرعية كلها ، لأن القائمين عليها شواذ يعملون عمل قوم لوط !![٢] .

---

(٢) من الوسائل التي انتهجها المستعمر وتلاميذه للقضاء على الدين تحويل المحاكم الشرعية إلى محاكم تتعاطى القوانين الوضعية وقد عدّدت مجلة «ميدل إيست» (عدد أغسطس ١٩٨٥ ـ صفحة ٤٢) بعض هذه الوسائل فقالت ما نصّه :

من بين الأسباب التي أضعفت سلطان الطبقات الدينية (في تونس) :

١ ـ قانون ١٩٦٥ الخاص بالأحوال الشخصية الذي **أعطى النساء حقوقًا مساوية للرجال في التطليق ، وعدم التعدد** ، والاختيار الحر في الزواج . .

٢ ـ **علمنة المحاكم** .

٣ ـ إبطال الحبوس (الأوقاف)

٤ ـ تحويل جامعة مسجد الزيتونة إلى كلية ضمن جامعة تونس ـ كما حدث للأزهر الشريف عافاه الله ـ

وعلى الوتيرة نفسها تسير الفصائل العلمانية والشيوعية ، وسماسرة المخدرات ، ومتسولو القمامات الفكرية المتناقضة . . فهم يفترون القصص ، ويكتبون عن مفاهيم غير إسلامية أوجدها التطبيق الخاطىء والممارسات المنحرفة عن سوية ديننا العظيم . . فقالوا : إنها هي الإسلام ، لذا ينبغي أن يزول !!

وكتبوا عن أشخاص لا علاقة لهم بالإسلام ، ولا بالعمل الإسلامي وقالوا : هؤلاء هم المسلمون !! فإياكم وإياهم .

فإذا سألتهم عن رغباتهم قالوا :

نريد إسلامنا الذي نحن عليه ؟! وماذا فيه ؟! نحن لا نصلي ولا نصوم لكنّ ربّنا الكريم رب قلوب .

نحن نشرب «ونبحبح» في العلاقات النسائية ، ونتوسع قليلاً في المعاملات المالية لكن هذه طبيعة الإسلام «المرن السمح» الذي يتطور بتطور الحدثان .

وبعد ذلك . . يأتينا مثل جون لافن اليهودي فيقول : هذا هو الإسلام . . فارفضوه . . ويأتي مثل سلمان رشدي القادياني فيقول :

Among the measures which weakened the role of the religious classes were :

1 - 1965 Personal Status code, which gave women equal rights to divorce, monogamy and free choice of marriage .

2 - The Secularisation of Law Courts.

3 - The abolition of hubos (a wqaf).

4 - The Transformation of Zitouna Mosque University into a faculty of the University of Tunis. (Middle East - August - 1985 - P.42)

هذا هو الإسلام . . فحاربوه .

والطريف أن إخواننا الأبواق لو عجنوا لأسيادهم الشقر «عجين الفلّاحة» ولو نهجوا النهج الغربي «حَذْوَكَ القذة بالقذة» ولو أشعلوا أجسادهم قرابين يستمطرون بها رضا «الخواجات» فسيبقى الغرب ، كما يقول عمُّهم «جوستاف لوبون» مؤمنًا أن غير الأوروبي :

[إنسان قرديّ ، لا يمكن مهما يبلغ نصيبه من العلم والثقافة أن تقترب رتبتُهُ الإنسانية من الإنسان الغربي (!!؟) سيد التاريخ ، وصانع دوراتِه كلها] العقل المسلم ـ ص ١٢٠ .

و «القرداتي» ربما دلل قرده ، وربما ألبسه ملابسَ مزركشة يؤدي بها «النمرة» المطلوبة ، لكن دائمًا يستبقي «الخيزرانة» القاسية قريبة من قرده ، إذا تلكأ أو أدى «النمرة» خطأ .

وفي عالم الفكر عندنا قرود يجيدون تأدية الأدوار ، ويحفظون النصوص جيدًا ، حتى إنهم قد يظنون من شدة الاندماج أنهم ليسوا قرودًا تتشقلب وتعرى سوءاتها . . إرضاءًا للقرداتية .

● من أنواع الحيوان فصائل لطيفة خلقها الله تعالى في إهاب آدميّ ، ومنحها قلوبًا «رقيقة» ، وشعورًا ناعمة ، وعيونًا ملونة ، وبشرة كالمرمر الصقيل .

وهي تشبه - إلى حدٍّ كبير - الآدميين في طريقتهم في الأكل والشرب ، والكلام والمشي ، والفعل والانفعال ، حتى إن منا من ينخدع بهذا التشابه فيظنهم بشرًا من البشر ، لهم مشاعر يهتزون بها ، ولهم قلوب يرحمون بها ، ولهم أعين يبصرون بها .

ويزداد الغَرَرُ والانخداع حين تراهم يذرفون الدموع الغزار إذا أحسوا أن قطةً قد شيكت ، أو بقرة أصابها الوجا ، أو أن كلبةً تعاني آلام المخاض ، فتهتز لذلك أريحيتهم ، وتثور نخوتهم ، ويقفون على إراحة هذه المخلوقات المسكينة المئين والألوف بل والملايين .

ويفتتحون بيوتًا للكلاب اليتامى ، ودورًا للكوافير ، وحمامات المياه المعدنية ، للقطط الناعمة المنعمة .

لكن هذه الفصائل الحيوانية يغلب طبعُها الأصيل تطبُّعها الطارىء ، فتسفر عن وجوهها الحقيقية ، وتُبين عن قَرَمِهَا لالتقام لحوم

البشر ، وشهيتها العظيمة للتلذذ بدمائهم وكسر عظامهم .

وهذه الفصائل قديمة قِدَمَ ظهور الإنسان الأوروبي «العظيم» .

منذ أيام القبائل البربرية من الوندال والسكسون والجرمان .

حتى القبائل البربرية من الروس والإنجليز والأمريكان

مرورًا بالصهاينة والرومان والألبان .

وإن التـاريخ ليأثـر عن هذه الفصـائـل فظائـع هائلة في فييتنـام وأفغانستان . . وفي ألبانيا ورومانيا .

وفي دير ياسين وعين الحلوة وبيروت .

لكن من أغرب ما قرأت حكاية لطيفة موجودة في أضابير دار الوثائق الفـرنسية بـاريس ، حدثت وقـائعها بعد انتقال أوروبا من العصور الوسطى «الهمجية» إلى العصور الحديثة «الهمجية» ، وبعد أن انفتحت شهيتها . . وسال لعابها لاستلاب الشعوب الإسلامية .

وكان ياما كان . . في قديم الزمان . . لما غزا الفرنسيسكان أرض الجزائر سنة ١٨٣٠ أحبوا أن ينهشوا الجسد الجزائري حتى العظم .

وتعبير «حتى العظم» ليس يا سادتي نوعًا من المجاز البلاغي ، لكنه حقيقة لغوية ليس فيها تزيُّد ولا مبالغة .

فحـين جاء أولئكم إلى الجـزائـر المسلمة احتاج رجال الصناعة في مرسيليا إلى فحم العظام لتبييض السكر .

فلم يجدوا طلبتهم إلا في مقابر المسلمين الجزائريين !!

---

١ ـ نُشرت القصة بعد الإحالة إلى مصادرها من الوثائق الفرنسية في المجلة التاريخية المغربية ـ تونس ـ العدد الأول ـ ترجمة الدكتور عبد الجليل التميمي .

وقام قطعان الحيوان «المتحضر» **بنبش القبور ، وجمع العظام ، وشحنها على البواخر** . واستمرت العملية تسير رُخاءً حتى أحست إحدى الجرائد الفرنسية زمانذاك ـ ١٨٣٣ ـ فكتبت صحيفة Le Sémaphore de Marseille عن القضية وأثارتها .

وكان أن تطوع طبيب اسمه سيجو Dr. Segaud للتحقيق في المسألة وكشف أبعادها . . ثم بعد بحث وفحص كتب تقريرًا جاء فيه :

[بعد أن قمت بفحص دقيق جدًّا لكمية من العظام الموجودة تعرفت على بعض منها ، وثبت لدي أنه من النوع البشري !!

وقد شاهدت عددًا من الجماجم والسواعد وعظام الفخد لمراهقين دفنوا حديثًا ، فإنها لم تكن خاليةً تمامًا من اللحم !!]

ونبّه «سيجو أفندي» إلى أن انكشاف هذا الأمر سيجعل «أعداءهم العرب» في حالة تعصب ديني . . ويبدو أن حكاية التعصب الديني هذه شماعة يسترون بها بربريتهم ، ورهبتهم منا ـ على ضعفنا وهواننا على الناس ـ ﴿لأنتم أشدُّ رهبةً في صدورهم من الله﴾ .

بعد هذا التقرير غضبت غرفة التجارة من السيد «سيجو» لأنه أفشى سرًّا ما كان له أن يفشيه ، وأماط اللثام عن شيء من الحيوانية الأوروبية ، وجازف بذلك **[لإلحاق الضرر بمصانع تصفية السكر الفرنسية المزدهرة ـ يا حرام]** .

وبادرت الغرفة الموقرة بالاعتذار بأن أولئكم التجار معذورون في فعلتهم لأنهم ـ غضبًا عنهم ـ **كانوا يجدون العظام مبعثرة وبارزة على**

الأرض تعترض طريقهم . . فما ذنبهم ؟!

ثم أمر وزير الحربية الفرنسي آنذاك بالتحقيق في القضية ، واعتذر بنفسه عن فعل «أشرار اليهود والمسيحيين» الذين كانوا يترددون لأخذ الأحجار الثمينة أو العظام ليرسلوها لصنع فحم العظام بمصانع مرسيليا ، ووعد بمزيد من المراقبة والمعاقبة .

وهذا فإنني لا أستغرب على بلاد الموضة والنور والثقافة أن :

- تهدد العفاف الإسلامي بالإرسال المبتذل اللحوح الذي تسلطه مباشرة على تونس والقاهرة ، وتزمع مع جيرانها المتحضرين تسليطه على سائر بلاد العرب كسيرة الجناح .
- وأن تهدد الجزائر بأنها لن تسكت ، بل ستتدخل عسكريًّا إذا لزم الأمر بعد أن اكتسح الإسلاميون «الأصوليون» الانتخابات .
- وأن تهدد شواطىء لبنان ببوارجها وطوربيداتها لتتدخل إذا لزم الأمر .
- وأن تسير المظاهرات التي يؤجج أوارها السيد «لوبان» لتنادي بالتخلص من العرب والأتراك والمسلمين الموجودين في فرنسا ، خشية أن يُفْرَضَ الأذان على الأذان الفرنسية الرقيقة .

أنا لا أستغرب .

فإنهم إذا لم يكرموا الأموات .

أفتراهم يكرمون الأحياء ؟!!

إن القضية قضية هوية . . وقضية انتماء . . ولا انتماء لنا ولا هوية

. . **إلا بالإسلام** ، حتى لو لَوّنّا الآفاق بالأحمر أو بالأصفر ، أو خططناها بالأزرق ، أو زركشناها بالنجمة السداسية اللعين . .

لن ترضى اليهود ولا النصارى . . ولواتبعنا ملتهم .

نعم . . ولو اتبعنا ملتهم ، ولبسنا ثيابهم وقبعاتهم ، وتمطقنا بلغاتهم . . لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم . . أفلا تعقلون ؟!

الأبيض والأسود

● لا بد مع العلم من شيء من الاستبصار بنور الله تعالى . . ولا قيمة للتجارب وطول العمر إذا لم يتعظ الإنسان منهما ويتعلم ، من خلال عقلية استنباطية خلاقة .

لقد أنكرت الدنيا كلها رسول الله ﷺ في وقتٍ من الأوقات . . وبقي مع ذلك واثقًا من نصر الله تعالى ، متفائلاً يبث في أصحابه الأمل ، ويعدهم - في أحلك الساعات وأشدها عليهم - بسقوط مُلْك كسرى ، وفتح خيبر ، والقسطنطينية .

وبعض الدعاة اليوم لا يرى إلا الظلام ، ولا تقع يداه إلا على جسد ميت ، أو جمادٍ لا حسّ فيه ولا حركة .

● **إذا جالستَهُ هجم عليك بفيالق التيئيس** ، وسرايا السوداوية والنواح ، حتى تظنَّ أن المسلمين جميعًا داخلون النار لا محالة ، مأكولون لا محالة ، مدمرون مسحوقون لا محالة . .

● **فإذا قمت عنه لازمَكَ الانقباضُ والسخط** ، ورأيت في كلِّ رجلٍ خائنًا ، وفي كل داعيةٍ جاهلاً ، وفي كل شابٍ رويبضةً غبيًّا .

● **إذا قرأ مقالة في جريدة ذمَّ كاتبها** ، ولعن جدوده ، لأنه لم يتناول في مقاله كذا وكذا .

● **وإذا حضر خطبة قذف خطيبها الذي أطال في غير طائل ، وأضاع** وقت الناس في غير نفع .

● **وإذا خالفه إنسان في رأي رماه بحجارة الأرض كلها** ، واستعدى عليه أعداءه وأعداءه .

وعلى الناحية الأخرى يرى غيرهم النور من خلل الظلام ، **والحركة في المولود الواعد ، وصدق الوعد الإلهي بنصرة المؤمنين** .

فالله تعالى عدل لا يضيع عمل العاملين ، ولا إخلاص المخلصين ، وقد أريقت دماء غزيرة عزيزة لتنبت شجرة الصحوة ، وقُدمت تضحيات وجهود من كافة الفصائل الإسلامية ـ المقبولة منهجيًا وعقيديًا ـ وكتبت أفكار تبعث الروح في الرفات .

● إننا في حاجة إلى كثير من هذا الصنف المتفائل . . الذي يرى الأثر الإيجابي في المد الشبابي العظيم في أقطار الأرض كلها .

● ويلحظ المد الفكري المبدع في المؤلفات التي ملأت الدنيا في السنين الخمسين الأخيرة ، والثمرة الحلوة في المؤسسات الدعوية والإغاثية ، وفي دوحة الاقتصاد الإسلامي والعمل السياسي والفقه الناضج والأدب الإسلامي . . و . . و

ونبقى كما يقول كثير من أهل الفضل في حاجة إلى الترشيد والمعايشة .

ويبقى أن يمسك بالزمام أئمةٌ رحماء ، وقادةٌ يملكون من صفات القيادة أعلاها ، ورعاة وعاة يجمعون الأغنام الشاردة ، ويطببون الحملان المريضة ، يُبشرون ولا ينفرون ، ويرحمون ولا يقهرون .

إن الليالي السود تحتاج من يشعلُ مصابيحَ الأمل لا من يلعن الظلام فيزيد الناس قنوطًا على قنوط وغمًّا على غم .

وإن المريض يحتاج إلى طبيب . . كما أن الطبيب لا يعالج الأصحاء بل المرضى . ولا يتصورنَّ داعية أنه يعلم علماء ، أو يهدي هداةً مهديين ، بل إنها الجنة سلعةُ الله الغالية التي تحتاج إلى بذل واصطبار .

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله ، وعمل صالحًا ، وقال إنني من المسلمين ، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن﴾ .

يُوسُفُ العَظَمِ والكَرَافِئَة

● يعجبني الداعية واسع الصدر ، الذي يستطيع أن يحتوي مَنْ أمامه ، ويجيب عن تساؤلات المتسائلين ، ويبدد اعتراضات المعترضين ، دون أن يغضبهم ، أو يحدث لديهم ردَّ فعل عكسي ، أو نفوراً منه ومن نمط تفكيره .

قد لا يعجبه السؤال ، وقد يسيء السائل الأدب ، لكن حصافة الداعية الموفّق تمكّنه من كسب الجولة ، وتحول من أمامه لصفه .

وقد حصل هذا مع رسول الله ﷺ غير مرة ، كما في حالة الذي سأله أن يعطيه من مال الله الذي ليس ماله ولا (**مال أبيه**) ، ومع (**طلقاء مكة**) ومع الذى **اخترط سيفه ليقتله** .

وقد صار أولئكم بفضل الله تعالى ثم بحكمة المصطفى ﷺ جندًا للإسلام مخلصين .

وتُحكى عن بعض الدعاة المعاصرين مواقف بارعة تعكس مهارة التأليف وكسب القلوب .

فمما سُمع عن (**الشيخ البنا**) رحمة الله تعالى عليه أنه روى حديثًا فاعترضه معترض ـ أصبح المرشد بعد ذلك ـ بأن الحديث لم يرو هكذا . . بل بصيغة كذا وكذا . . فالتفت إليه الإمام قائلاً : صدقت ، إنه

كما تقول ، ومضى في كلامه حتى انتهى . . ثم انفرد بعد ذلك بالهضيبي وبيّن له أن ما رواه صحيح ، وأن الرواية الأخرى صحيحة أيضًا . . **فاستحيا منه ولزمه ، وتعلم على يديه** ، وصار بعد ذلك شيئًا مذكورًا .

● والداعية الشاعر **يوسف العظم** يعترضه معترض ذات يوم في أثناء محاضرة له ألقاها بالبحرين قبل سنين وبطريقة فيها إحراج وسخرية :

- كيف تحدثنا عن الغزو الفكري وأنت تلبس الكرافتة كالنصارى ؟!!

فيبادر الأستاذ العظم قائلاً :

- **بسيطة ، إن كانت هذه هي المشكلة فسأخلعها ، وفعلاً فكّ (الكرافتة) ومضى في محاضرته التي كسب عند نهايتها قلب المعترض قبل الموافق .**

● وحضرت محاضرة للدكتور **موسى لاشين** يتحدث فيها عن حجية السنة المشرفة ، فإذا بمعترض يقول له :

- أنت تتكلم عن السنة بينما تخالفها في لحيتك !! أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ؟!

فابتسم الدكتور لاشين قائلاً :

- **أعدك إن شاء الله تعالى أن آخذ بالسنة فيها على أن تأخذ أنت أيضًا بما ينقصك من السنة .**

وكان لجوابه الهادىء أثر مريح وحسنٌ في نفوس الجالسين ومنهم المعترض نفسه .

● ورأيت طالب علم مندفعًا يقف في وجه الشيخ **المختار الشنقيطي** -

وهو من هو حفظًا ودراية ـ ليطلب منه دليله على مسألة ـ بطريقة فيها جفاف ـ فأجابه الشيخ بهدوء شديد ـ ودون أن تتغير ملامحه ـ بأن الحديث موجودٌ في صحيح مسلم في كتاب كذا . . ثم يمضي الشيخ رحمه الله في كلامه دون غضب أو انفعال .

وعلى العكس من ذلك تجد من الدعاة من بمنّ بدقائق من وقته يستمع لك فيها ، ومن يوبخك قبل أن يفتيك ، ومن يجاوز حدّه إلى درجة أن يسبك لأنك تضيع وقته (الثمين) بسؤالٍ تافه أو اعتراض أحمق ؟!!

وتجد منهم من إذا طلب أحدهم دليله على كلامه ـ وهي علامة صحية لا مرضية على كل حال ـ أشبعه سخرية وزراية ، وكأن الأصل أن يُقبل كلامُهُ مسلّمًا وكأنما هو كلامٌ معصوم من شخص معصوم !!

وتجد منهم من يفترض أن يكون عوام المسلمين جميعًا علماء شموليين يهتمون بما يهتم به هو ، وتشغل بالهم قضيةُ أركان أو أوضاع مسلمي فطاني أو يتابع آخر إنجازات الآلة الحربية الأوروبية ، وهذا مستوىً نرجو أن يتحقق في الأمة الإسلامية بمجموعها لولا أنه بعيد ، بل مستحيل إذا لم نجد المربين واسعي الصدور ، والدعاة الرحماء ، الذين يربون أجيالاً واسعة الأفق ، مهتمة بأمر الدين ، نشطة في بناء الدنيا . . وإنما يحصد الإنسان ما يزرع . .

الخلاف الحميد

● في كلمة اعتبرتها علامة بارزة - رغم أنها سبقت في حديث عام وعابر - قال العلامة القرضاوي : **أنا لا أتخيل أن تقوم جماعة إسلامية عالمية يمكن أن يتفق المسلمون عليها جملة وتفصيلاً** ، فإن هذا ضد طبائع الأشياء ، وضد السنن الإلهية التي تجعل من الاختلاف وسيلة إبداع وتجديد .

والناس - ولا بد - مختلفون على شيء :

فإما أن يختلفوا على المنهج والتصور ، وإلا اختلفوا على التطبيق ووسائله ،

فإن اتفقوا في ذلك فربما اختلفوا في ترتيب الأولويات ،

فإن اتفقوا كان الاختلاف حول بعض الأشخاص ومدى تلقي الناس لهم بالقبول .

وهذا الكلام نفيس جدًّا ومهم جدًّا ، وينبغي أن يتفهمه كثير منا بعمق واستيعاب ، **خصوصًا أولئك الذين يتمادون في مصادرة أفهام غيرهم ، ولا يرون إلا أنفسهم وانتماءاتهم** ، ويعتقدون أنهم - وقبيلهم - هم المصطفَوْنَ الأخيار ، الداخلون النعيم لا محالة . . ويقضون نصف أعمارهم في الزراية بالآخرين وتحقيرهم ، واجتراح الخطايا والآثام من

اغتيابهم والعيب فيهم !!

لا بد أن تقوم اتجاهات . . تختلف فيما بينها : ربما في الرؤية والتصور ، ربما في المنهج العام ، ربما في الوسيلة ، ربما في الجانب الذي تركز في الدعوة إليه والعمل له ، **بشرط أن يكون هذا الخلاف خلاف تنوع وإثراء ، لا خلاف تضارب وتضادّ ومحادة** . . تمامًا كالروح العظيمة التي كانت سارية بين سلفنا الصالح رضي الله عنهم .

ومن اللطيف أن المجلس الذي ضمنا كان خير تصديق لهذا الرأي . . فقد ضمت الجلسة مجموعة من أهل العلم والفضل ، ظلوا يتطارحون وجهات نظر متباينة ، ولم يكادوا يتفقون على جزئية ، حتى إنني تعبت من التضارب الواضح فخرج احتجاجي - على الرغم مني - في صورة تعجب واستغراب .

فقد طرح الأستاذ **مصطفى الصير** في رأيًا ، علق عليه فضيلة الدكتور **القرضاوي** مصححاً ، فتدخل الدكتور **أكرم العمري** ، فسحب خيط الكلام أمين **مجمع البحوث الإسلامية** المصري ، فانبرى الشيخ **العماري** مناقشًا ، فقطع النقاش الشيخ **عبد الفتاح أبو غدة** :

«نحن في حاجة إلى الوحدة والحرية . . لا . . الحرية هي الأساس والمحور . . لا بل نحتاج للتربية والعمل الهادئ، طويل النفس . . لا . . أرأيت إلى نظام السيكيوريتات في رومانيا ؟! لا . . بل . . لا بل . . بل . . . »

حتى إن الحوار تشعب ، وكاد يضل عن الغاية التي أثير من أجلها .

جلسة واحدة . . تضم ـ تحت سقف واحد ـ نخبة ممن يحملون همّ الإسلام ويعملون له ، يختلفون في تصور واحد إلى ستة آراء ، وربما كان لكل واحد من الجالسين الساكتين رأي مستقل .

ولا شك أن الاختلاف جيد ومُثْرٍ ـ بعد الاتفاق على الأصول والكليات ـ لكن ينبغي أن تكون **هناك لحظات تلتقي فيها الآراء جميعًا والقلوب جميعًا ، نابذة هوى النفس وعصبية الانتماء وزعم المصلحة . . من أجل منفعة تعود على هذا الدين .**

ولا أجد ما أقرّبُ به الصورة ـ مع الأسف ـ أكثر من حال الكنائس النصرانية ـ التي تتقاتل فيما بينها ، وتتباين مناهجها «العقيدية» بشدة ، إلا في مواجهة الإسلام . . فهي جميعًا تتحد ، وتنسق العمل فيما بينها عن طريق هيئة واحدة هي مجلس الكنائس العالمي .

لقد أخبرني ـ قبل سنين قليلة ـ رئيس كنائس الروح القدس بقارة آسيا ـ سابقًا ـ الأخ الدكتور **خالد سانتوس** بعد إسلامه ـ أن **بالفلبين وحدها ألفين وخمسمائة مذهب كنسي** ، كلها تقوم على الربح وجمع التبرعات ، وتتنافس تنافسًا حادًا من أجل ضم الأتباع ، **لكنها ـ جميعًا ـ تنسق العمل فيما بينها لمواجهة المد الإسلامي وجهاد المسلمين المورو !!**

فلتكن هناك خلافات ، ولتتعدد الرؤى والاجتهادات ، ولتكن هناك مناهج عمل ومدارس متكاثرة .

لكن ينبغي أن توجد قواسم مشتركة ، وكليات يتفق عليها ، وجهود

تبذل لتنسيق العمل الإسلامي ، وترتيب لجهود العلماء والدعاة ، وتخصيص جبهات للتصدي لمن يقفون في وجه الإسلام أن تعلو رايته ، على اختلاف مشاربهم وأحقادهم .

أما لو عدمنا الفقه ، وبقينا كمن وصفوا في القرآن : ﴿تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى﴾ فإنه ـ والله ـ الهوان والضعف ، وتبديد الجهود ، والفرصة المواتية لكل مُتَفَرْعِنٍ أن يقول : أنا ربكم الأعلى . .

الكَلَفُ والتَلَفُ

● إن من الأمراض المفسدة مرضين يصيبان بعض خلايا الصخوة المباركة ، يؤديان ـ ككل مرض ـ إلى إحداث خَلْطٍ في التصور ، وخَبْطٍ في الحكم ، ويقعان عند الطرفين الذميمين ـ الإفراط والتفريط ـ وأعراضهما سهلة قريبة الدلائل ، وأعني بهما مرض الكلف ومرض التلف .

● **فالكلف إعجاب لدرجة الانبهار بعالم رباني يؤدي في النهاية إلى ألاّ يرى المرء إلا ما يرى ، ولا يقول بغير ما يقول** ، فكلامه دائمًا فصل ، ومنطقه دائمًا حق ، وعادياته دائمًا خوارق ، ولَغْوُهُ إبداعٌ وحكمة .

ومن اللاشعور يبزُغُ منهج افتراض العصمة في مخلوقٍ غير معصوم ، ربما كان عالمًا فذًّا ، وداعيةً طويل الباع ، وإنسانًا رقيق الفؤاد ، لكنه لا ينبغي له ـ ولا يستطيع ـ أن يكون معصومًا ، بل إن سنة الله تعالى الماضية تقع عليه فيخطىء ويضعف .

من هنا أوجب ربنا سبحانه علينا النصيحة . . لأئمة المسلمين وعامتهم .

● وعلى الكفة المقابلة يقع (التلف) وهو مرض يعمى المبتلى به عمىً مزمنًا حتى إنه لا يبصر معه الشمس في رائعة النهار . .

ومن أعراضه أن صاحبه **لا يرى فيمن أصيب بالتلف تجاهه إلا البغض الغالي ، ولا يسلك نحوه إلا سلوك القالي** ، فإذا قال خيراً تأوله المصاب بأنه تظاهرٌ ونفاق ، وإذا دعا إلى فضيلة اتهمه بأنه كذابٌ متلون ، وإذا بادر مبادرة صلاحٍ وطهر لَعَنَ الساعة التي تعرّف خلالها على هذا المدّعي المبطل .

- إن كل عاقل يسلّم أنه لا معصومَ غير رسول الله ﷺ .
- وإن كل عاقل يسلّم أن النصيحة : دين ، كالصلاة والصيام والرفق والعفة .
- وإن كل عاقل يسلّم أن الإفراط والتفريط داءان دويّان كثيراً ما يؤديان إلى الغلو المكفّر أو إلى التسيب الملهي عن صراط الله تعالى .
- وإن كل عاقل ليسلّم أن العالم ـ شأن البشر جميعًا ـ قد يخطىء ، **فإذا جاريناه في الخطأ ، وأقررنا مسلكه بالصمت والتضاحك تحرجًا من نصيحته . فإننا في واقع الأمر نهدمه ولا نخدمه** ، ونفتح عليه من الثُغَر والفروج ما يسهّل إسقاطه والطعن في أهليته .
- وإن كل عاقل ليسلّم أن الخير في التوسط في الحب والبغض ، والقبول والرد ، فيأخذ من كل أحدٍ بمقدار ويدع بمقدار ، لكن من خلال موازين صحيحة ، وتقديرات منهجية .
- **فالأخذ الاعتباطي والرد الاعتباطي تنكّبٌ عن هدي الكتاب الذي يطالب دائمًا بالدليل ﴿هاتوا برهانكم﴾ ﴿ايتوني بكتابٍ من قبل هذا أو أثارةٍ من علم﴾** .

هذا ميزان أول . .

وأما الميزان الثاني فهو الأدب والعفة في الرد والقبول ، خصوصًا مع الأئمة المجاهدين والعلماء العاملين ، فإذا أخذتُ منهم أخذتُ وفي قلبي التوقير والحب . وإذا رددت رددت وفي قلبي الحب والتوقير .

● إن بعض المتعصّبة من العاطفيين تنطلق ألسنتهم أسرع من الضوء إذا أبديت رأيًا ولو كان معك ألف دليل . . إذا خالف رأيُكَ ما درجوا على اعتناقه . كما تنطلق شتائمُهُم ويسيل صديدُ تجريحهم إذا سَوَّلَتْ لك نفسُكَ أن تقترح اقتراحًا ، أو تنطق بشيء تظنه حقًا لو لم يكن على وفق مقاييسهم .

● **إننا ينبغي أن نتعلم من جملة ما نتعلم فقه الأخذ والرد ، وأصول المعارضة والترجيح .**

كما ينبغي أن نتمتع ـ إلى جانب التعلم ـ بقدر مناسب من التربية والسلوك المعتدل في الاتفاق والاختلاف ، الأمر الذي يجعلنا عفيفين عن أعراض الناس ، متخلقين بالأصل الذي أصله الإمام البنا ـ وأئمة السلف الصالح قبله ـ والقائل : إن (كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد ، إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم ، وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عنهم موافقًا للكتاب والسنة قبلناه ، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله ﷺ أولى بالاتباع) .

سَلَفٌ وَخَلَفٌ

● لعلّ من السنن التي تعمقت في النفس البشرية أنها إذا أقبلت على عمل من الأعمال تحمست له ، وانفعلت به ، وجعلت له الأولوية على ما سواه ، وإن كان أهمَّ وأعظم !! فإذا ما تطاول الزمن دبّ إلى النفس الفتور ، فتكاسلت عمّا كانت متحمسةً له ، وتهاونت في الإقبال على ما كانت منفعلةً به .

ومع التهاون في الانفعال ، والتكاسل في الإقبال ، قد يأتي الخطأ في الممارسة ، ويظهر الانحراف عن الخط الأصيل الذي اختطه العقل للنفس .

ويمكن أن ندلل على هذا بأكثر من مثال :

● فالمذاهب الإسلامية العظمى بدأت اتّباعية ، منهجية ، مرتبة الأفكار ، واضحة الحدود والأصول والقواعد . . فلما تطاول بها الزمان ، ومرت عليها القرون ، **خَلَف من بعد الأئمة خلْفٌ جَمدوا الاجتهاد ، أو تسلّوْا بالنظر في قضايا تدخل في باب التسلية والدعابة أكثر منها في باب الفقه والاجتهاد** الرزين الذي يثاب عليه المصيب والمخطىء كلاهما .

● والمدارس اللغوية بدأت عملاقةً شامخة ، حتى طال عليها الأمد ،

فسادت العجمة ، وانهزمت الفصحى ، وطالب بعض النّوكىٰ بالعامية بديلاً عصريًّا !!

● وعلوم الأصول بدأت قويةً متميزةً حاكمة ، ثم انتهت بها الحال ـ أو بنا ـ أن صرنا نجد قسمًا منها معزولاً مهزومًا ، ولا يؤتي أكله ، ولا يجد من ينصره .

بل ربما وقف في سبيل بعض هذه العلوم من يجهلها ، فإذا به يسفهها ويسفّه المشتغلين بها . . وبات بعضنا يعتبرها تراثًا من الماضي لا محلّ له بالقرن العشرين . . وتصديق ذلك في فلسفة علم الرجال وعلم المصطلح وعلم المنطق وغيرها .

● وتنسحب هذه السنّة نفسها على واقعنا المعاصر ، وعلى طبيعة الانتماءات الكبرى التي ظهرت في هذا المجال .

فكثير من التيارات المعاصرة بدأ عملاقًا متوازنًا لا يختلف عليه عاقلان ، تنظيرًا وتطبيقًا ، وبمرور الأيام يدخل الخلل ، ويدبّ الهزال ، وتظهر في البنيان لبنات لا تملك الحيوية التي كان يتحلى بها الرواد ، وتميز بها المؤسسون العظام الذين بعثهم الاقتناع ، وفجّر طاقاتهم التفهّمُ وحُسْنُ الفقه .

وكان النصيب الأكبر في الخلل من ناحية التطبيق والممارسة .

وبدا ذلك واضحًا في تنكّب هدي الرواد الأوائل .

وفي نقص العناصر المربّاة على ما دعا إليه القادة .

وظهر الانتماء العاطفي المجرد من الوعي ، الخالي من التبصّر

والفهم .

وانبثقت عن هذا الخلل أمراض شديدة الفتك ، كالغلو أو التسيب ، ورفض الآخرين ومصادرة أفهامهم ، والاغترار المتطرف بالذات أو المنهج إلى درجة العمى عن رؤية غيرهما !!

ويتفاقم الأمر حين يصل إلى الكيد للآخرين ، والدس عليهم ، واختلاق الأكاذيب حولهم ، **واستجازة الكذب لمصلحة الدعوة**[1] .

إن سلفنا الصالح رضوان الله عليهم قد ضربوا لنا أمثلةً رائعة في سعة الأفق ، وقبول رأي المخالفين في إطار أدب رفيع نحن في مسيس الحاجة إليه الآن .

فقامت مدارس الرأي بجانب مدارس الأثر .

وقام النمط السلفي بجانب النمط العقلي الاعتزالي أو الفلسفي .

وانتعش الفقه كما انتعش الحديث . .

وقامت علوم اللغة ، بجانب علوم القرآن ، بجانب علوم الهيئة ،

---

١ ـ للعلامة سيد قطب رحمه الله كلام نفيس في هذه القضية ، فهو يرى أن «مصلحة الدعوة» الحقيقية في استقامتها على النهج دون انحراف قليل أو كثير ، أما النتائج فهي غيب لا يعلمه إلا الله تعالى ، فلا يجوز أن يحسب حملة الدعوة حساب هذه النتائج ، إنما يجب أن يمضوا على نهج الدعوة الواضح الصريح الدقيق ، وأن يدعوا نتائج هذه الاستقامة لله تعالى . . ولن تكون إلا خيراً في نهاية المطاف .

واعتبرها «السيد» رحمه الله مزلةً ومدخلاً للشيطان ، بل صنماً يتعبده أصحاب الدعوة وينسون معه منهج الدعوة الأصيل . . فالله تعالى أعرف منهم بالمصلحة ، وهم ليسوا بها مكلفين ، إنما هم مكلفون بأمر واحد ، هو ألا ينحرفوا عن المنهج ، وألا يحيدوا عن الطريق .

انظر : طريق الدعوة في ظلال القرآن ـ ١٧٨

بجانب . . .

ولا أشك أننا الآن أضيق عَطَنًا ، وأهون من أن نرضى أن تقوم مدرسة بجنب مدرسة ، أو منهج بجوار منهج . .

حتى بتنا أوزاعًا متفرقين !!

يحسبنا الناس جميعًا وقلوبنا شتى .

وتبقى كلمة الإمام العظيم مالك . . تدوّي :

لن يُصْلِحَ آخرَ هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . .

فهل من مُدّكر ؟!!

هكذا يفكرون

● كنا خليطًا متباينَ الأعمار والثقافات ، يجمعنا حوارٌ محتدم حولَ فلسطينَ المسلمةِ والأقصى السليب ـ ردّ الله غربته ـ وتُفَرِّقُنا وجهاتُ نظر مختلفة من حيث الطريقة المثلى لإنهاء هذه المشكلة التي يفترض أنها قضية العرب جميعًا

منذ مدةٍ تناهز نصف قرن ، وقبل أن يخرج جيلُنا إلى النور .

وبحنكة الشيوخ انبرى أكبرنا سنًّا قائلاً :

سأحكي لكم حكاية : فأعطوني آذانكم :

سافر أحد الفلسطينيين إلى البقاع المقدسة للحج ، وبعد أن أدى المناسك ـ وكعادة الحجاج ـ اشترى الرجل بعض الهدايا واللطائف لذويه وأحبابه . . وكان مما اشتراه كمية من تمر المدينة المنورة . ولما عاد الرجل إلى الأردن ، وعند الجسر الذي يفصل بين الضفتين استوقفه الجندي الإسرائيلي للتفتيش بعد انتظار مرهق . . وسأله :

- من أين جئت ؟
- من قَطَر .
- ما هذه اللفافة ؟
- إنها تمور جلبتها من هناك . .
- إن قطر ليس بها تمر ، هل حججت هذا العام ؟

إذن فهذا التمر من «خيبر» [تأمل البعد الديني والتاريخي لهذه الكلمة] .

وبكرمٍ من الرجل ، قال للصهيوني الخبيث :

تفضل إذا شئت أن تذوق . .

قال سليل القردة والخنازير : **إن لم أقطفها من فوق نخلتها «بخيبر» فلن أذوقها أبدًا** .

ثم أردف شيخنا الحكيم :

هكـذا يتصرف الجندي الصهيوني العادي ، منطلقًا من رؤية تلمودية صهيونية . . فاجمعـوا هذا مع منـاداة الرئيس «ريجان» بإلزام الطلاب بإقـامة «قُداس» في مدارسهم صبيحة كل يوم ، ودعوة **كارتر وريجان** وغيرهما لإحياء روح «الإنجيل» بين الأمريكيين ، واتحادات الأحزاب السياسية النصرانية الأوربية ، واتحادات الكنائس العالمية . . ثم تأملوا واقعنا الذي يحاول ـ بكل الولاء والحب الاسميّ للإسلام ـ التملص من الإسلام في كل الاتجاهات . . وتأملوا وجود الأحزاب الشيوعية والقومية والاشـتراكية والناصرية والبعثية والأشفورية والخنفشارية . . والتبجح بنقض عرى الإسلام عروةً عروة .

اليهـودي لم يخجل من إعلانها حربًا تلمودية ، وريجان لم يخش أن يتهمه أحد بالتخلف والرجعية . . أو بأنه أصولي جامد .

فلماذا نخجل من أن نعضّ على ديننا بالنواجذ ؟

العقل الإسلامي في المزاد

● كيف تتصرف إذا جاء رجلٌ وباع ـ نيابةً عنك ـ كلَّ ممتلكاتك ، بلا ثمن ، ودون أن يستشيرك أو يسألك رأيك ؟!

وكيف يكون موقفك إذا تصرف هذا التصرف بعد أن أشاع بين الناس أنك لست أهلاً لأن تتصرف في ملكك ببيع أو شراء أو إضافة ، لأنه هو وحده صاحب الحق المطلق في البيع والتصرف ؟!

هل لهذا وجود ؟

نعم . . وأشهر صور وجوده بيعُ فلسطين نيابةً عن أهلها ـ في المرة الأولى ـ فقد تصرف فيها ـ كما هو معروف ـ الإنجليز الذين لا يملكون ، للخنازير الذين لا يستحقون .

وهناك صفقة بشعة تعقد هذه الأيام ـ رغم أن التوطئة لها تتم من زمن ـ يبيع فيها أعداءُ الله لأعداء الله ، والكارهون للإسلام للكارهين للإسلام . . **والمبيع هذه المرة هو العقل الإسلامي كله .**

لتبقى الأمةُ بلا عقل . . كما بقي أهلُ فلسطين بلا أرض .

العقل الإسلامي الذي أشيع بدهاءٍ شيطاني أنه لا يصلح للتحدث

عنه لا السلفيون ولا الإخوان المسلمون ولا المخلصون من علماء الأزهر ولا سواهم من «الأصوليين» .

والذي لا قيمة فيه لتركة مالك وأحمد ، ولا تُسام فيه بضاعةُ البخاريّ وابن تيمية ، لأنها بضاعةٌ مزجاةٌ من سقَطِ المتاع الذي لا يؤبه له ، ولا يهتم به .

العقل الإسلامي صار برسم البيع في المزاد . . بعد أن صادره وحجر عليه فريق من أعدائه ، بثمن بخسٍ شهرةٍ كاذبة ، أو وعدٍ جهام ، أو مال يدفع باليمنى ليسلب باليسرى .

وتأملوا تسارع الأحداث في الأشهر الثلاثة الأخيرة فقط .

منذ ثلاثة أشهر تقريبًا انعقد في «تونس» المؤتمر القومي العربي الأول حضره «**مستنيرون**» ليناقشوا **إمكانية إيجاد إطار للتفاعل بين التيار القومي الوحدوي ، والانفتاح على التيارين الإسلامي والماركسي** (الراية ٣٢٧٨) .

● وفي الفترة ٨ ـ ٩٠/٦/١١ شهدت «العاصمة الليبية» مؤتمرًا شارك فيه قادة ومندوبون عن قادة الأحزاب والتنظيمات القومية والشيوعية في الوطن العربي ، ومعهم عن ليبيا قيادة اللجان الثورية ليناقشوا قضايا منها : **الموقف المبدئي من الدين (!!)** وتدعو لاستكمال حوار مع (**التيار الديني المستنير**) لتخرج ورقة برنامجية من الجميع : لجان ثورية وقوميين وشيوعيين ودينيين مستنيرين !! (السابق) .

● وفي الفترة من ٥ ـ ١٩٩٠/٧/٨ اجتمعت في «بغداد» اللجنة التحضيرية للمؤتمر الفكري العربي الأول ناقشت فيها ناقشت **الأبعاد المحلية والعالمية للظاهرة الأصولية** : (السابق) .

وقد يسأل سائل : أين الصفقة هنا ؟ وأين تكمن مخاوفك وهذه ليست أول مرة تعقد فيه أمثال هذه المؤتمرات ؟!

وأرد على السؤال بسؤال :

من هم «المستنيرون» الذين يتحاورون مع الشيوعيين وإخوانهم ـ باسم الإسلام ـ لتحديد «**الموقف المبدئي من الدين**» !! ويعملون على إقامة الحوار الإسلامي الشيوعي ؟!

وما هي النغمة الغالبة في هذه المؤتمرات الصفقات ؟!

إن هناك يا سادتي غارةً شعواءَ للقفز فوق العقل الإسلامي (**التاريخاني السلفي المدرسي الكهنوتي** . .) واحتوائه وبيعه لهواة جمع التحف والأنتيكات .

بعد إيجاد إسلام «عصري» أكثر طواعية وليونة ، **وأكثر طأطأة للواقع** !! وإن الممثلين للعقل الإسلامي في هذه المؤتمرات التقدمية جدًا .

ليسوا شيخ الأزهر ، ولا إمام الحرمين ، ولا الفقهاء الأحرار من فصيلة القرضاوي ومحمد قطب وعلي جريشة وجمال بدوي والندوي .

وليسوا من الشباب المحترق الذي يعيش كابوس الطوارىء في كل مكان بالعالم الإسلامي ويدفعون ثمن فشل الأنظمة في إطعام الناس

وستر عورتهم .

بل المتحدثون باسم العقل الإسلامي في هذه المؤتمرات هم من المراكسة الخداعين . . إنهم فصيلة مصطفى عاصي وخليل عبد الكريم وسعيد العشماوي وحسين أمين وأضرابهم .

ويواكبهم ويسير في ركابهم ـ غفلة أو تغافلاً ـ بعض الطموحين كفهمي هويدي ومحمد عمارة . .

إنهم ماركسيون مشهورون . . عرفوا ـ بغباء غيرهم لا بذكاء من عند أنفسهم ـ أن من أقوى سبل الكيد لُبْسَ عباءة الإسلام ، والتحدث باسمه ، وعقد الصفقات نيابة عن أصحابه الذين يعيشون حالة غيبوبة أو تغييب لصوتهم وفعاليتهم ، فأفيقوا أيها المفكرون . .

إن عقلكم يباع .

وإن ميراث رسول الله ﷺ يسومه كل مفلس .

وإن كدّ السلف الصالح يراق على مذابح العمالة والتبعية ، وإنكم إن لم تنتبهوا في الإبان فوالله وبالله ستجدون أنفسكم ـ بعقلكم وميراثكم ـ «لاجئين» في مخيمات الصليب الأحمر

وربما الصليب الأزرق !!

كما فعل «بأشياعكم» من قبل

إن العقل الإسلامي يباع

يبيعه من يحقدُ عليه لمن يحقد عليه

فهل يمكن أن تجيزوا هذه الصفقة ؟!

اللهم رحمتك .

حمقى

● يسألونك عن الحماقة ، قل هي صنفان :
حماقة مردّها إلى نقصان العقل ، لا يدرك صاحبها معها عواقبَ ما يفعله ، وربنا الرحمن جعل العقلَ مناط التكليف ، لا يحاسب إلا الأسوياء ذوي العقل والحجا .
وحماقة مردها إلى الاغترار بحلم الله تعالى ، والركون إلى الدنيا الفانية ـ كأهلها ـ والفرح بشيء من المال أو الجاه أو القوة . . وهذه حماقةٌ تورد صاحبها موارد الهلكة والبلاء .

ويسألونك عن أكثر الناس حمقًا ، وأطيشهم سهماً ، وأبلدهم ذهنًا ، فقل : هو ذاك الذي يشتري الشقاء بماله ، أو يستجلب التعاسة بجاهه ، أو يقترب من جهنم بتجارته ، أو يتعرض لسخط الجبار بقوته .

لا تعجب ولا تندهش ـ يرحمك الله ـ فإن لبعض الناس قلوبًا لا يعقلون بها ، وآذانًا لا يسمعون بها ، وأعينًا لا يبصرون بها .

● فإذا رأيت ـ عافاني الله وإياك ـ ثعلبًا مظهرًا للتنسك ، لابسًا مسوح الزهاد ، يخدع عباد الله بمظهره المزور ، ليتسنم بزهده الزائف ، منصبًا

لا يستحقه ، أو ليجني مالاً هو لغيره ، فاعلم أنه من أحمق خلق الله ، لأنه يخدع الذين لا يدركون إلا الظواهر ، ولا يبصرون غير ما يرون ، وينسى الله سبحانه ربَّ السرائر .

● وإذا رأيت رجلاً آتاه الله تعالى من لدنه علمًا ، ورزقه حجاً وفهمًا ، وأفاء عليه زلاقة اللسان وحسن القبول ، فسخر فتاواه لمن يعطي أكثر ، ووقف علمه على من يرفعه درجة ، أو يجود عليه بهبة ، فاعلم أنه من أحمق خلق الله ، لأنه مسئول عن علمه ـ ما عمل به منه ـ وسيقيم الحجة بنفسه على نفسه أمام ربٍّ بكل شيء محيط ، وتكون الفضيحة على رؤوس الأشهاد ، ثم . . نعوذ بالله من حال أهل النار .

● وإذا رأيت قاضيًا ، جُعل في مكانه ليحق الحق ، وينتصف للضعيف ، وينتصر للمظلوم ، فإذا به يجور في القضية ، ويحيد عن السوية ، فينتصر للقوى ويُدْنيه ، ويظلم الضعيف ويقصيه ، وتميل ريحه حيث أهل الجاه والمال والسؤدد ، فاعلم أنه من أحمق خلق الله ، لأنه سيقف ـ رغم أنفه ـ أمام قاضٍ عدلٍ لا يظلم الناس مثقال ذرة ، ويحاسب على الفتيل والنقير ، والذرة والقطمير .

● وإذا رأيت غنيًّا وسّع الله الوهابُ عليه ، ومنحه من صنوف المال الأصفر والأحمر ، والصاهل والناطح ، والطائر والدارج ، ثم يستخدم نعمة الله في أذى عباد الله ، أو في إرضاء إبليس ومن والاه .

وإذا رأيته قد شحت نفسه ، وجفت يده ، فلم يعط السائل والمحروم ، فاعلم أنه من أحمق الناس ، لأنه يتصرف في مال الله بغير ما يرضي الله ، وسيحاسب على دراهمه كلها : كيف حصل ؟ وفيم أنفق ؟!

● وإذا رأيت آدميًا رزقه ربه المنعم بسطة في الجسم ، وبحبوحة في القوة ، فمشى في الأرض ـ كالدابة العجماء ـ يركل وينطح ، ويخمش وينبح ، فاعلم أنه من أحمق خلق الله ، لأنه تعامى عن الحقيقة الساطعة ، فإنه سيلقى الجبار الذي يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ﴿إنَّ أخذَهُ أليمٌ شديد﴾ .

● وإذا رأيت مخلوقًا ولاه ربه ـ منّةً منه وفضلاً ـ مسئولية من هم دونه ، فسوَّفَ ومطل ، وعطل مصالح عباد الله ، ولم يؤد أمانته التي ائتمنه ربه عليها . فاعلم أنه من أحمق الناس ، إذ أهمل الخلق ونسي الخلاق ، وآذى العباد ونسي رب العباد ، وتجاهل أن عليه ملكين كريمين يسجلان أعماله ، وسيؤدي دينه يوم القيامة ـ من حسناته أو من سيئاتهم .

لقد نبهنا المصطفى ﷺ إلى حماقة هؤلاء الحمقى ، وذكر لنا مصائرهم فحكى لنا عليه الصلاة والسلام عن قاضٍ في الجنة وقاضيين في النار ، ونبهنا أن من الثلاثة الذين يكونون أول من تسعَّر بهم النار رجلاً تعلم العلم ليقال : عالم ، وقرأ القرآن ليقال : قارىء ، ورجلاً أنفق ليقال جواد ، كما ذكر لنا أننا جميعًا رعاة ومسئولون عما استرعانا ربنا عليه .

فهل يستفيق الحمقى قبل أن يلقوا ربهم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ؟

الحق الداحض

● ليس أعجب عند العقل من رجل يهبه الكريم الوهاب نعمة فيركلها بقدمه ، وقوة يبددها ، وعقلاً يلغيه ليعيش كالدابة بل أضلّ سبيلاً .

وأعظم نعمة منّ ربُّنا العظيم بها علينا هي نعمة الإسلام ، التي يشكر العقلاء المهتدون ربهم عز وجل أن وفقهم إليها ، ومنّ عليهم بالهداية لرحابها .

لكنك تجد من البشر من تقوم أمامه الدلائل تلو الدلائل على تهافت المواضعات البشرية ، وسقوط قداسة الأصنام المزخرفة ، وهوان المتجبرين .

ويقوم لديه الدليل الساطع على سقوط النحل التي يستنّها البشر ، متجاوزين حق الله وحده الذي له الخلق والتشريع والأمر كله .

ثم يصر مستكبراً . . راضياً الارتكاس في الضلالات ، مستحبًّا العمى على الهدى ، والأسباب متعددة :

● فكثيراً ما يمنع الجحدُ والعُلوُّ بعض الناس عن قبول الهدى كما كان من فرعون وملئه : ﴿وجَحَدُوا بها واستيْقَنَتْها أنفسهم ، ظلماً وعُلوًّا﴾ .

● وكثيراً ما يمنعهم عن ذلك الظلم ﴿ومَنْ أظلم ممن كتم شهادةً عنده من الله﴾ .

● وكثيراً ما يمنعهم انتكاس الفطر ، والرضا بالحياة التافهة ﴿وأما ثمودُ فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾ .

● وكثيراً ما يمنعهم الكِبْرُ عن الامتثال والإسلام . كذلك الذي شُلت يمينه فلم يرفعها إلى فيه لما خالف الأمر النبوي . وذلك الذي ارتد إلى النصرانية حتى لا يستوي في الأحكام مع سائر المسلمين .

● وكثيراً ما يمنعهم استحسان القبيح ، وتحكم الهوى عن الإنصاف ، ووضع الأمور في نصابها ، كما حصل مع نبي الله يوسف عليه السلام لما بدا لعزيز مصر وزوجه وبطانته أن يسجنوه حتى حين .

● وغير خافٍ أن هؤلاء لا يملكون من النبل والمروءة ـ غالبًا ـ ما يجعلهم ينصفون أهل الحق ، ويعاملونهم بالقسط ، وفقَ مكارم الأخلاق ، بل إن موازينهم مختلة ، وأحكامهم تتضارب بين لحظة وأخرى .

فهذا نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام ، الذي كان رجالات العرب يسلّمون دهرًا أنه الصادق الأمين . يُتّهم في صدقه وأمانته لما صَدَعَ بالحق الذي لا يرغبون !!

وهذا الصحابي الجليل عبد الله بن سلام يقول عنه اليهود إنه سيدهم وابن سيدهم . . فلما أسلم قالوا : هو شرّنا وابن شرّنا !!

● وباستقراء التاريخ نلحظ أن الحق غير مسلّم دائمًا ، وأن الصواب غير مرضيٍّ دائمًا ، وأن من الناس من يرتضي ما فيه هلاكه ، عنادًا أو جحدًا أو هوىً وانحرافًا .

وهذا مما يواجه الداعية ولا شك .

فقد يكون مالكًا لكثير من الإخلاص ، وكثير من الصواب ، أريبًا محنكًا في الدعوة ، لكنه لا يجد القبول عند العديد من خصوم الإسلام بل وعوام المسلمين .

يوسف نبي الله تعالى : يشهد الشاهد من أهل المدعية ، عليها ، وتقوم البينة واضحةً على براءته ، ثم يحلو لهم ـ من بعد ما رأوا الآيات ـ أن يستبقوه في السجن رهينًا .

وكم من «صديق» ، ومن عالم رباني ، ومن شاب نشأ في طاعة الله عز وجل جحده ذووه ، وظلمه أهلوه ، وسفهوا أحلامه وكذبوه ، واتهموه ـ غامسين ـ أنه أتى بما لم يعرفوه أو يعهدوه .

لكن البهتان وصنع الأكاذيب مما لا يوقف الداعية الحقَّ عن الاستمرار في الدعوة ، ولا مما يجعله ينهزم ويضعف ويأس ، بل إن ذلك يزيده إصرارًا على إصرار ، واحتمالاً على احتمال ، حتى يكتب الله له ولجهده البركة والإثمار ، كما حصل مع سيد الخلق عليه الصلاة والسلام حين سووم فقال : **والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمرَ في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك دونه . . ما تركته** .

أما الأخطر فهو أن يتحول هذا الأمر إلى ظاهرة عامة ، ليس على مستوى رؤوس المستكبرين ، والمغترين بغنىً أو سطوة ، بل أن ينتشر

وبـاءً عقيديًّا بين العامة وسواد المسلمين . . الذين كثيراً ما تفيد كثرة الطُّرق في الولوج إلى عقولهم وضمائرهم ، فيصدقون الأكاذيب المعلبة (والإسـرائيليـات والأمـريكـانيـات) المـوضـوعـة . . ليبغضوا الدعاة والـدعـوة ، ويكـرهـوا الشباب الطيب المبارك ، ويرضوا بإسلامٍ بلا تكاليف ، ودينٍ بلا جهاد ، وأحكام بلا نفاذ .

حُبُّ المصطفى ﷺ

● يسألونك عن حبِّ المصطفى - بأبي هو وأمي - قل :
حُبُّهُ عبادة ، والصلاة عليه - عليه الصلاة وأزكى السلام - دينٌ وفضل ، وحسناتٌ تنال ، وقمم تشام .

ويسألونك عن منزلته عند ربه سبحانه ، قل :
هو سيد المصطفَيْنَ الأخيار ، وقائد المقربين الأبرار ، وصاحب الشفاعة ، ودليل الحمادّين إلى جنات الخلد وغرفات الفردوس .

ويسألونك عن آية حبه - ﷺ - قل :
هي الاتباع لا الابتداع ، والعضّ على سنته بالنواجذ ، فحبه بلا اتباع كذب ، والتغني به مع هجران سنته مرضٌ بالقلوب يورثها الهوى والهوان .

والناس في حبه صلوات الله وسلامه عليه طرفان ذميمان ووسط حميد :
طرف يجعل التغني بحبّه صنعة ، والتمايل على ذكر اسمه بضاعة ، والصفق والزمر في أثناء مدحه زلفى ، ويهبطون إلى دركات الدسّ والافتراء وهم يشعرون أو لا يشعرون ، فهو : كحيل العين ، وأحمر الخدّين ، وصاحب المدد ، ويقبضون آخر الليل ثمن تمايلهم وزمرهم

دراهم ودنانير الله أعلم بما كانوا بها عاملين .

وطرف يحبه ويعظمه لكن يخرج إلى حيث نهى ، ويجتاز إلى حيث حظر ، ويبالغون مبالغاتٍ ليس عليها دليل من عقل أو نقل ، فيجعلونه قطبَ دائرة الوجود ، وعلةَ العلل ، و«لولاك لولاك ما كانت الأفلاك» وهو ﷺ القائل : لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم» .

ووسطٌ حميد يحبّ سنّته ، ويقتفي أثره ، ويتخذه قائدًا ناصحاً ، وسراجًا منيرًا ، فحبّهم له جعلوه اتباعًا وسلوكاً ، وتوقيرهم وتعزيرُهم إياه ترجموه أعمالاً ، غير غالين ولا مفرطين .

لقد أحبه أصحابه الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه . وبشروا بالجنة وهم أحياء تكريمًا لهم وتشريفًا . وقدموه على أرواحهم وأولادهم ، وأوطانهم ، وأموالهم ، وأقاموا من حبّهم إياه سياجًا يحميه ـ كيانًا بشريًا ـ ويحمي دعوته الحقّ التي جاء بها ، ومع بذلهم وإخلاصهم ـ بشهادة العليم الخبير ـ لم يغالوا في تعظيمه كما يفعل كثير من الناس اليوم .

ورغم تقصيرنا وضعفنا وأننا لو أنفقنا مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بلغنا مُدَّ أحد هؤلاء الكرام ولا نصيفه ـ بشهادة البشير النذير ـ فإن فينا المغالين والمفرطين .

● إن حب المصطفى ﷺ اتباع ﴿فاتبعوني يحببكم الله ويغفرْ لكم ذنوبكم﴾ .

● حب المصطفى سيرٌ على نهجه ، وتمسكٌ بسنته [عضوا عليها

بالنواجذ] .

● حب المصطفى ﷺ رد للبدعة ، وإبعاد لما لم يصدر عنه [كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد] .

● حب المصطفى ﷺ يلزمنا باستعادة مجد الإسلام الذي يضيع ، وإحياء تراثه الذي يتبدد ، وإعمار الدنيا بما يرضي رب العالمين سبحانه .

● حب المصطفى ﷺ يوجب علينا إدراك ركب الحضارة الذي تخلفنا عنه عشرات السنين وربما مئاتٍ بسبب خطايا قلوبنا ومعصيات عقولنا .

● حب المصطفى ﷺ يعني أن نعرف المعروف ونأمر به ، وأن ننكر المنكر وننهى عنه .

● حب المصطفى ﷺ يوجب أن نأخذ على يد الظالم ، ونزجره ، وأن نعين المظلوم ونؤازره . فإذا لم نأمر بمعروف ، ولم ننه عن منكر ، ولم نطهر قلوبنا من خطاياها ، وعقولنا من معاصيها ، ولم نعمر الدنيا التي استعمرنا ربنا سبحانه فيها ، ولم نسر على ما يرضيه ﷺ ونعض على سنته بالنواجذ . . فإن دعوانا حُبُّه باطلة .

ولو جلبنا كل زماري الدنيا وطبّاليها ليملأوا الدنيا ضجيجًا هاتفين . . يا حبيبي يا رسول الله .

● لعل في إشارة المصطفى ﷺ إلى أن الله تعالى إنما ينزع العلم بقبض العلماء ، توجيهًا نبويًّا كريمًا إلى لزوم الاهتمام بقممنا العلمية . والمحافظة عليها ما وسعتنا المحافظة .

وإن من أعلى صور الاهتمام - في تصوري - إقامة صفٍّ ثانٍ يلي الفقيه العظيم ، أو الشاعر الفذ ، أو المحدث المكين ، أو المؤرخ الثقة .

ولو تأملنا المدارس الكبرى في تاريخ الإسلام لوجدنا خلف الرأس دائمًا صفًّا ثانيًا ، يتمم المسيرة ، ويواصل حمل المشعل .

ففقهاء الصحابة ربوا من التابعين من أقاموا مدارس فقهية عظيمة في مكة والمدينة والكوفة والبصرة ومصر . وصغار التابعين من أساتذة التنظير العلمي خلفوا تلاميذ عمالقة مرضيين ، فأبو حنيفة ترك خلفه هرمًا على قمته أبو يوسف ومحمد بن الحسن وزفر وحماد ابنه . وكذلك فعل أحمد والشافعي ومالك رحمة الله عليهم أجمعين .

وتربى في مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية تلميذه ابن القيم والحافظ الذهبي والحافظ ابن كثير وغيرهم ممن سار على درب الإمام العظيم .

واستمر أصحاب المدارس يربون العمالقة ، ويقيمون خلفهم من

يقوم على رسالتهم ، ويواصل دعوتهم !

وإن المتأمل ليجد أن الشيوعيين - وكثيرًا غيرهم من أصحاب التوجهات الملوثة - مهرة في استخدام هذا المنهج ، وسيلحظ دون مشقة أن **رؤوسهم يجمعون حولهم المريدين والأتباع ، فلا يسقط منهم واحد إلا وتخلفه عصبة أولو بأس شديد** . وإذا قبض على زمام عمل مؤثر - كجريدة أو مجلة أو مركز ثقافة - حرص على أن يزرع مريديه ، حتى إذا عاكست الريح بقي بعده غير واحد . .

نأتي إلى بيت القصيد ومكمن الداء في الإسلاميين :

أعتقد أننا يمكننا أن نلحظ في زماننا - ككل زمن - وجود بعض الأفذاذ الذين يمكن أن نصف الواحد منهم بأنه «ظاهرة» .

● فعالم كالدكتور **القرضاوي** لا أتردد لحظة في أن أطلق عليه أنه «**عالم ظاهرة**» لأن يده طولى في آفاق عديدة ، وله أجدريته في الفقه والحديث والأصول واللغة والتيارات المعاصرة علاوة على فقه الحركة .

● ومحدّثٌ كالعلامة **الألباني** - في زمن غربة السنة ، وإنكارها ، والسخرية من المشتغلين بها - لا أتردد لحظةً أن أسميه «**المحدث الظاهرة**» فقد أمضى من حياته أكثر من ستين عامًا متبتلاً في محراب السنة حتى فاق العلماء طرًّا في هذا الباب ، مع أنه بين قوم ليس أسهل عليهم من هدم القمم وتلويثها .

● ومفكر كالأستاذ **محمد قطب** بسعة أفقه ، واطلاعه المتميز على التراث الإسلامي والحضارة المعاصرة ، ونظراته المتوازنة البارعة لا **أشك أنه مفكر ظاهرة** .

● ومفسر ملهم كالسيد ـ عليه رحمات الله ـ في ذوقه ، وطلاوة تعابيره ، وتمكّنه من كتاب الله وإيحاءاته مفسر ظاهرة .

● وتراثي كالشيخ العظيم محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ الرجل الملحمة في الفقه والأصول والتاريخ والتفسير والمنطق . . تراثي ظاهرة .

● و . . . و . . . و . . .

لكن :

● أنكتفي من هذه الظواهر بمجرد أنها تعيش بيننا ، أم أن علينا واجبًا تجاهها ؟ هذه واحدة .

● والثانية : أفيكتفي هؤلاء «الظواهر» بأنفسهم دون أن يعمدوا ـ كما هو واقع الأمر ـ إلى انتقاء وتربية بعض النجباء الأكفياء من طلاب العلم الذين يستطيعون حفظ ميراثهم كما فعل أسلافهم الأخيار ؟!

ومع عجز المؤسسات التعليمية الرسمية عن إخراج ظواهر ـ على النحو المأمول ـ أليس من الممكن تأسيس مدرسة «قرضاوية» وثانية «ألبانية» وثالثة «قطبية» ورابعة «شنقيطية» وخامسة وسادسة ، لتهتم بالتأصيل والمنافحة ، لا لتختلف ويشاق بعضها بعضًا ، ولا ليشكّك بعضُها في نوايا بعض ، ولتثرى آفاقُ الاجتهاد المعاصر الذي يحتاج إلى كثيرين من «الظواهر» بسبب كثرة المستجدات وتزاحم المعطيات ؟!

● المصيبة أننا نرى العكس . .

فما أسهل أن تجد من يشكك في القرضاوي ، ويقدح في الألباني ، ويتهم محمد قطب ويسخر من الشيخ الأمين .

أما تقدير هؤلاء ، والمحافظة عليهم ، فأعتقد أننا ـ بخلافاتنا ،

وتحكم وجهات النظر المتنافرة فينا - نحرقهم ولا نحتفظ منهم حتى بالرماد !!

لقد مر بنا من زمن غير بعيد الرافعي ومحمد فؤاد عبد الباقي والشنقيطي ومالك بن نبي وأبو زهرة وأحمد شاكر ومحيي الدين عبد الحميد وسيد قطب . . وكانوا جميعًا «ظواهر» فذة ، كل بحسب اختصاصه وتوجهه .

فاهموا معي اسم القرضاوي ومحمد قطب ومحمود شاكر والأميري والألباني وابن باز . . و . . و . .

فأمة لا تحترم عقولها غير حرية بالبقاء . .

تشويه العرب بالانشغالات التافهة

● ما فتىء الشرق والغرب يصوبان سهامهما الغادرة نحو العقلية العربية والإسلامية ، من خلال أصحاب الولاءات الفكرية التي تولّي وجهها شطر الإلحاد الشيوعي ، أو تسبح بحمد الجحود الغربي وتأليه البشر ، ومن خلال الغزو الإعلامي الغربي المكثف ، بل من خلال وسائل الترفيه والتسرية .

ولم يترك أعداء الله وسيلة للطعن إلا استغلوها ، ولا منهجاً للتشويه إلا اتبعوه ، حتى اللعب التي يراد بها التسلية .

ومن نماذج تسخير أدوات الترفيه لعبة تغزو العالم حاليًّا تحت اسم «الانشغالات التافهة» أضحت اليوم ـ كما ذكرت مجلة «الغرباء» اللندنية في عدد المحرم ١٤٠٧ هـ ، وعنها أنقل تفاصيل اللعبة ـ اللعبة البيتية رقم واحد في العالم ، إذ درت على الشركة الأمريكية المنتجة مئات الملايين من الدولارات ، وفاقت مبيعاتها جميع مبيعات الألعاب الأخرى .

وترتكز الانشغالات التافهة على مبدأ بسيطٍ هو المعلومات العامة ،

فاللاعب الذي يتراوح سنه بين الثالثة عشرة والسبعين يلعب على لوحة مقسمة إلى خانات كثيرة ، وعليه أن يحرّك مركبته عبر هذه الخانات حسب الرقم الوارد على النرد ، وكلما حطّت مركبته على خانة ، سَحَبَ غريمُهُ بطاقةً تحمل نفس لون تلك الخانة ، ويطلب منه الإجابة على سؤالٍ ورد في البطاقة .

وقد أطلق واضعو اللعبة ـ التي تحتوي على ستة آلاف سؤال ـ على لعبتهم اسمًا يشير إلى أنها في عداد **الانشغالات التافهة** Trivial Pursuits لطمأنة الجمهور وإفهامه أن الأسئلة خفيفة ومسلية ومثالية لتمضية أوقات الفراغ .

بَيْدَ أن العربيّ الذي يطّلع على أسئلة اللعبة في أصلها الإنجليزي الأمريكي سيجد أن عددًا لا بأس به من هذه الأسئلة **يستهدف ترويجَ أفكار مسبقة ذات طابع دعائي تلقيني وهذه هي الأمثلة المتعلقة بإسرائيل** ، وتدعو لها بذكاء وتلقين .

- ما هي عاصمة إسرائيل ؟ : (الجواب في ظهر البطاقة : القدس !!!)
- من هو أول رئيس وزراء إسرائيلي ؟
- في أي البلاد يقع ميناء حيفا ؟
- كم عدد الأشرطة في علم إسرائيل ؟
- كم عدد المغاوير الإسرائيليين **الذين قتلوا في الغارة** على مطار عنتيبي في أوغندا ؟

- كم عدد الرهائن الذين قتلوا في غارة عنتيبي ؟
- أين اختطف الكوماندو أدولف إيخمان ؟
- على أي عينٍ كان موشى ديان يضع عصابته ؟
- ما اسم الدولة المتاخمة للبنان وسوريا والأردن ومصر ؟
- أي رئيس وزراء إسرائيلي قضى سنتين في معسكر اعتقال روسي ؟

الجواب (مناحم بيجين)

- كم عدد الرياضيين الإسرائيليين الذين قتلوا أثناء الألعاب الأولمبية في ميونيخ ؟
- ما اسم الدولتين المتاخمتين للبحر الميت ؟
- من الزعماء الثلاثةالذين وقعوا على اتفاقية كامب ديفيد ؟
- وفي مقابل هذه الأسئلة حول جغرافية إسرائيل . وزعمائها ، وبطولاتها نجد حفنةً من الأسئلة تتناول العرب وهي :
- بأي يدٍ يأكل العربي الذي يقطن الصحراء ؟
- كم عدد الأنهار التي تخترق السعودية : الجواب : (لا توجد أنهار في السعودية)
- أية دولة صحراوية تتاخم السعودية والعراق والخليج الفارسي ؟ (الكويت)
- ما هي الدولة العربية الوحيدة التي لا توجد فيها صحراء (لبنان)

«نشاهد في هذه الأسئلة عزفًا واضحًا على نغمة الجدب والصحراوية ، ليقفز اللاعب إلى استنتاج أن العرب جميعًا بدو رحّل لمّا

يفارقوا حياة البداوة .

● من هو الشخص الوحيد الذي ألقى كلمةً في منظمة الأمم المتحدة وهو متمنطق بمسدس ؟ وطبعًا فإن الجواب معروف سلفًا ، فالشخص المعني هو (الإرهابي - زعيم المخربين) ياسر عرفات ، لتقع المقارنة بينه وبين (المناضل في سبيل الحرية) بيجن الذي اعتقله الروس في معسكرات الاعتقال .

● من هو الملك السعودي الذي اغتاله ابن أخيه ١٩٧٥م ؟

● من هو الذي اشتهر على أنه أول رجل أبيض زار مكة ؟ «وكأن الرسالة المحمدية لم توجه إلا إلى السود أو الملونين باعتبار أنها دون المستوى الحضاري المطلوب للرجل الأبيض» .

ورغم أنها مكونة من ستة آلاف سؤال فإنها **تخلو تمامًا من الإشارة إلى الحضارة الإسلامية بالذات بل وتبرز - كما هو واضح - زوايا سلبية وشائنة ، وتركز على الإرهاب والاغتيال والجفاف الصحراوي والتخلف الحضاري في الوقت الذي تعلي فيه إسرائيل وأمجادها .**

لقد طوقت هذه اللعبة الكرة الأرضية ، وصدرت بجميع اللغات الأوربية ومعظم اللغات الآسيوية ، حاملة هذا التشويه الحقير . والشركة تعمل على تسويق النسخة العربية - خالية بلا شك من الأسئلة التي تسيء للعرب مباشرة ، وتراعي المرحلة التي يمر بها الصراع مع الصهاينة .

وسؤالنا : أليس ثمّة جهة تستطيع الاحتجاج على مثل هذه اللعبة وإيقاف توزيعها ؟

أليس ثمةَ جهةٌ يمكنها إخراج شيء مناسب ـ كلعبة مماثلة ـ ردًّا على ذلك وتصحيحًا للأوضاع ؟

أفيقي ياوزارات الإعلام .

الشيخ العبوط

(١)

● حين أنظر في قوله تعالى ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ أجد أن كثيراً ممن تناولوها يقفون عند المعنى القريب ، وهو التحاور مع أهل الكتاب بلسان عفيف وجدال شريف ، دون لَدَد في الخصومة ، أو غلوّ في المحاورة . ولكن هذا المعنى وإن كان مرادًا في النص ، ومحورًا رئيسًا من محاور فهمه . . يقف - في ظني - على عتبات الدعوة دون أن يقتحم لججها .

فالمعهود بالنص القرآني أن يولد أكثر من هذا المعنى ، ويتجاوز هذا الأفق ليتناول المناهج والوسائل ، فينبغي أن يستخدم المنهج الذي هو أحسن ، والوسيلة التي هي أحسن .

فمستوى الحوار مع الرجل العادي الذي يحاول أن يجبر بعض النقص في فهمه لمسألة فرعية ، يختلف تمامًا عن مستوى التحاور مع معاند أو ملحد .

ومنهج الدعوة عن طريق المحاضرة أو المناظرة يختلف تمامًا عن الدعوة بخطبة جمعة أو كتابة مقالة ، ولا بد أن يكون ذلك كله ﴿بالتي هي أحسن﴾ .

كما تختلف الوسائل كذلك اختلافًا بينًا . . فما هو ملائم لمجتمع بدوي لا يلائم غالبًا مجتمعًا شبه متحضر .

وما يلائم مجتمعًا مسلمًا له بعض التحضر يختلف تمامًا عمّا يلائم مجتمعًا متحضرّ الجسد متحجر القلب .

وبقدر ما أهمل الإسلاميون عشرات الأشكال الدعوية شديدة الفعالية ـ لاسترابتهم في حلها أو جدواها ، أو لعدم خطورها بباهم ـ بقدر ما وظف خصوم الإسلام عشرات الأشكال المضادة ، شديدة الفتك بالغة التأثير .

● فالشيوعية مثلاً ـ والحصر مُعْيٍ ـ تُثَبِّتُ أقدامها زمناً عن طريق الكتب والمطبوعات المجانية التي كانت تبعثرها في مكتبات « الشرق » ومنافذ التوزيع المجانية .

● ووجدت طريقها بين قطاعات كبيرة عبر دواوين شعراء الستينيات الذين لم يبخلوا بإخراج عشرات الكتب ومئات القصائد التي تضعهم ـ عند كثيرين ـ فوق مستوى المساس أو النقد وإلاّ هاجت كل أفاعي الأرض وضباعها ، تذود عن المكاسب التي جناها الفكر الشيوعي المتنكر تحت أسماء أخر .

● ووجدت طريقها عن طريق مسرحيات بريئة الظاهر وعن طريق المسرح المتجول ، والرقص في مولد سيدي الحسين (؟!!) تحت ستار الثقافة الجماهيرية ، وبعث الزخم الثوري في نفوس الفلاحين والصعايدة !!

● ووجدت طريقها عن طريق **الكاريكاتير** لتقديم الإسلام في صورة من أبشع ما يمكن أن يقدم به عن طريق **الشيخ متلوف** ، **والشيخ لعبوط** ، والمنتقبة التي يبرز شعر ساقيها ، والإرهابي ذي اللحية الطويلة (بتاع توظيف الأموال) .

واستخدمت **القصة والأقصوصة والأدب الشعبي** ، على طريقة (يا فلاحين نوترين ، وانظر حولك ، وحاجة ببلاش كده) .

● واستخدم البرنامج التلفزيوني ، كما استخدمت الصحيفة والمجلة في كثير من الأحيان لنشر الأفكار الإلحادية والعلمانية والمنحرفة .

وأعود إلى سؤالي :

ما معنى ﴿**بالتي هي أحسن**﴾ على مستوى **المنهج والوسيلة** ؟!

إن لمنهج العرض الشمولي فوائده ، كما أن للتركيز على بعض الجوانب فوائد جمة .

وإن للترغيب موضعًا وللترهيب موضعًا . . وللجهر مزايا وللاستسرار مزايا . .

وما أحرى الإسلاميين أن يلتفتوا إلى قيمة القصيدة والصورة الكاريكاتيرية والأقصوصة والمسرحية والعمل التليفزيوني . . والإنتاج الفني . . بجانب المحاضرة والمناظرة وشريط الفيديو والكاسيت . .

ناهيك عن التربية والعمل السياسي والاجتماعي والإنمائي . . و . .

إن التي ﴿**هي أحسن**﴾ تعني فيما تعني تقديم **المنهج الأكثر جدوى وفاعلية** ، أو أفضل ما يطيقه الداعية من طرائق ووسائل العرض ،

وأكثرها فاعلية وتأثيراً ، على أن تكون جميعًا في إطار المشروعية والحِلّ .

وصدق الله العظيم القائل :

﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب﴾ .

الشيخ لعبوط

(٢)

● ومن الأشكال العجيبة التي استخدمت للكيد للإسلام جبهة تخفى على كثيرين منا ، تتمثل في بعض أعمال كُتاب العامية ، وسَيدُهُمْ - بلا منازعة أو مشاحة - بيرم الذي يحاول الشيوعيون والعلمانيون تقديمه على أنه **(مشعل شعبي وهاج ، وإفراز ثوري لضمير الشعب)** ليقولوا في النهاية ، إنه كان داعية للماركسية ، والخروج على الدين ، باجتزاء عملٍ من أعماله ، وفصله عن سائر إبداعاته التي فيها روح دينية ، وليوحوا أنه سبق إلى الدعوة لدك الأزهر وتقويضه !!

وقد وجدوا من بعض أعمال بيرم الطعم المناسب .

ففي حمأة التهجم على الدين ورموزه سقط بيرم حتى الرقبة . وكان مما أنتج مقاماته التي بلغت خمساً وأربعين مقامة ، **كل منها آيةٌ في المهارة والمقدرة اللغوية ، وآيةٌ في الخبث المعجون بالألفاظ الظريفة والأشعار الشائقة .**

وكلها كانت تدور - فقط - **حول العلماء والمعممين** ، فصَوَّرتهم على أنهم أحقر صنفٍ خلقه الله وسوّاه ، **فالمشائخ زناة ، وشواذ ولصوص ، وانتهازيون ، وطماعون ، ومتنون قذرون** ، يبيعون دينهم كله بمليم

أحمر ـ رحم الله أيامه ـ ويذبحون آباءهم من أجل طاجن ملوخية !!

واختار لهم بيرم أسماء تبعث على الزّراية والسخرية ، من باب : **بعجر بن قحطان وعنجر بن خليجان وعطعوط** وما شابه . .

وقد اختار الناشر ـ أو من وراءه ـ اثنين من الرسامين ليترجما المقامات رسمًا ، فأتما الصورة الحقيرة التي بدأها بيرم ، والتي يظهر أن الكائدين للإسلام لا يريدون لها أن تنتهي .

فإذا ما جلت ببصرك من أول المقامة الفونوغرافية ، مرورًا بالبيجامية ، فالفسيخية ، والشوالية ، والصعيدية ، والسفورية ، والترباسية ، والهبابية ، والواترمانية ، والفلوسية ، وانتهاءً بالمقامة القرشصاغية . . فسوف تتضح لك بجلاء **مهارة الكائدين و «خيبتنا» الشديدة** ، ووقوفنا عند مجرد «**الدَّش**»[1] اللفظي . . إذا كنا نحسنه !!

ولو أردت أن أضرب مثلاً واحدًا ـ وهو ليس أسوأ نموذج في المقامات ـ فسأختار المقامة البيجامية التي تحكي عن طلب السفارة لأئمة ، كجزء من تمام «الديكور» حيث لا قيمة لهؤلاء الأئمة ولا وزن .

ومن المتقدمين للسفارة تم انتقاء ثمانية من المشايخ لتجري بينهم التصفية النهائية . . ومع أنهم «**نقاوة**» فقد كانوا جميعًا نماذج مزرية ومخلوقات مقززة . . فانظر أسماءهم ، وتأمل كيف وصفهم بيرم :

الشيخ عطعوط :

١ ـ الدَّشّ لفظة عامية مصرية يراد بها الثرثرة التي لا معنى لها ولا فائدة منها .

وجدوه مُكَلْبَظاً .. وقفاهُ
أحمرُ كالذبيحةِ المسلوخة

والشيخ عبد الموجود :

جسمُهُ ضامرٌ كعنزٍ هزيل
وعليه عمامةٌ منفوخة

والشيخ عبد المقصود :

أهْرَتُ الشدق .. أسودُ الناب .. يبدو
فمهُ النتْنُ ماضغاً فاسوخة

وراضي رضوان :

فيلسوفٌ أرخى على الصدر منه
لحيةً .. ذيلُها كذيلِ الفسيخة

وعبد ربه رشوان :

أحدبُ الظهر .. زرُّه مستقيم
فهو عودٌ .. وزرُّه زمبوخة

ومهران الشندويلي :

أبصروه يخبُّ في كل لونٍ
فنفوه وأكثروا توبيخه

وعبد الباسط زهران :

جاء في الصف هارشاً كلَّ عضو
لم يدع رجلهُ ولا يافوخَهْ

ولما وقع الاختيار على «الموعود» قالوا له :

(اعلم أننا لم نستحضرك للسجود والركوع ، ولكن ليتم بك الموضوع . والسفارة جعلت للأبهة والفخار ، لا للنفع ولا الاتجار (!!) ويلزمها خيرة الموظفين ، وخيرة رجال الدين ، وخيرة البوابين) !!

ولما ذهب صاحبنا إلى باريس بادر إلى الانسلاخ عن زيه ، فلبس ملابس أفرنجية ، وأجر «أبارطمان»[٢] أصحابه نسوان . . ثم بدأ لعابه يسيل على هؤليائكن النسوان ، وكاد يفقد صوابه لما رأى صاحبة البيت تلبس «مثله» ، وتضع رجلاً على رجل ، فيسأل سكرتير السفارة عن العبارة :

أبصرتُ ربةَ منزلي وثيابُها
مثلي ومثلك . . أم أراني أغلطُ ؟!
هل تلبس النسوانُ في خلواتها
لُبْسَ الرجال . . ومثلَهُمْ تتقمّطُ ؟!

وكان اللباس الذي أفقده الصواب أو كاد :

هو بنطلونٌ فوقه جاكتةٌ
مفتوحةٌ منها النهودُ تُلَعْلِطُ
زرقاءُ . . كالبحر المموّج متنُها
سيراءُ . . بالقلم العريض تُخَطط

٢ ـ لفظة فرنسية وإنجليزية تعني الشقة أو المبنى Apartment

ولما عرف أن اسمها «بيجامة» قال في بلاهة فلاحٍ يرى باريسَ لأول مرة :

إنْ كان هذا . . فالبجامةُ شكلُها
في «مذهبي» شكلٌ يسرّ ويبسطُ

وأما المرأة الباريسية فكانت :

لَفّاء كالتمثال . . حتى خلتُها
من مقلتي لا من يدي تتزفلطُ

ثم يطفح لؤماً ونذالة حين يعلم أن بعض أبناء قريته أتوا باريس يسألون عنه ، فيتنكر لهم ، ويرفض استقبالهم بعد أن يكتب على الباب :

يأيهذا الزائري لستُ هنا
وذا الذي تقرؤه خطّي أنا
فلا تدقَّ البابَ جُنِّبْتَ العنا
واذهب . . ذهبت شاكرًا أو لاعنا
ليست «أوروبا» مثل كَفر البَلْيَنا

هذا ـ يا سادتي ـ هو النمط الذي عرضه بيرم للأزهريين . . ويطابقه النموذج الذي قدمتهم فيه السينما من خلال المؤذن الوضيع ، والمكفوف الرقيع ، والمحلل الديوث ، والرجل «المسخرة» .

وهـذا ـ يا سادتي ـ شكـلٌ واحـد فقط من عشرات الأشكال التي استخدمت منذ أوائل القرن لضرب الإسلام .

فماذا ـ يا سادتي ـ استخدمنا من وسائل الدعوة المناسبة ، **ليس للقرن العشرين ـ لأنه انصرم إلى غير رجعة ـ بل للقرن الحادي والعشرين ؟!!**

ماذا لدى خصومكم يا سادتي ، وماذا لديكم ؟!

ألا أيها النوام ويحكمو هبُّوا . .

مُطَفِّفُونَ

● يسألونك عن التطفيف ، قل : هو أن يستوفي المرء في الأخذ ، ولا يوفي في الإعطاء، غمطًا للناس ، وأكلاً لأموالهم بالباطل ، وليس هذا من العدل في قبيل ولا دبير.

ويسألونك عن جزاء المطففين فقل : أوعدهم الذي لا تخفى عليه خافيةٌ بالويل ، وأخذ أسلافهم بالصيحة ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، كأن لم يَغْنَوْا فيها﴾ فجمع لهم من صنوف العذاب ظُلةً من اللهب ، وصيحةً من السماء ، ورجفة من الأرض ، وجعل سيرتهم قرآنًا يتلى إلى يوم القيامة ليعتبر بمصارعهم من كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد .

والتطفيف حقيقة لغوية وشرعية في المكيل والموزون ـ كما يذكر المعجميون ـ غير أن هناك نكتةً يبرزها اللغويون هي أن التطفيف يقع على الشيء اليسير ، فالمطفف الذي أوعده الله سبحانه بالويل في القرآن الكريم هو الذي يبخس المكيال والميزان ، ولا يكاد يسرق إلا الشيء الخفيف الطفيف ، فأما الذي يسرق الكثير لا اليسير فليس مطففًا ، بل

هو . . خطّافٌ هباش[1]

وقد توسع سلفنا الصالح ـ رضوان الله عليهم ـ فلم يقصروا التطفيف على المكيل والموزون ، بل نقلوه إلى معانٍ أخرى تعكس وجهة نظر أكثر اتساعًا .

ففي المسند عن سلمان الفارسي رضي الله عنه مرفوعًا : [الصلاةُ مكيال فمن وفى وفي له ، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين] .

وجاء في «اللسان» أن عمر رضي الله عنه قال لرجل : ما حبسك عن صلاة العصر ؟ فذكر الرجل له عذرًا ، فقال عمر : طففت ، أي أنقصت .

وجاء أيضًا أن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما حين ذكر أن النبي ﷺ سبَّق بين الخيل قال : كنت فارسًا يومئذٍ فسبقت الناس حتى طفَّف بي الفرسُ مسجدَ بني زريق حتى كاد يساوي المسجد ، يعني أن الفرس وثب به حتى كاد يساوي المسجد .

ويتوسع صاحب «الظلال» رحمه الله تعالى فيذكر أن التطفيف يكون في «أية صورة من صور التطفيف في المال ، أو في سائر الحقوق والواجبات» .

وعلى هذه النظرة فإن من التطفيف :

● أن يأخذ الرجل أجرًا على عمل ، ويطالب بزيادة ، ويلح في

---

١ ـ الهباش في العامية المصرية المجترىء في احتجان المال وجمعه من الحرام . والهَبْش في الفصحى الاحتيال في الكسب ، وهو . . يهبش لعياله ، يجمع لهم الرزق أخلاطًا . . انظر : الوسيط : هبش ج ٢ ، ص: ٩٦٩

الطلب ، ثم لا يبذل في عمله جهدًا يكافىء ما أخذ من أجر ، ويشمل هذا الموظفَ الذي يعمل للدولة فلا يخلص ولا ينتج ، والأجير الذي يعمل للناس فلا يوفيهم حقوقهم .

● أن يطالب الرجل زوجه بحقوقه عليها ، ويُعْنتها ، ويشقّ عليها ، ثم هو لا يوفيها حقها ، ولا يؤدي ما عليه لها ، فيؤذيها بفعاله وبكلامه أو يهجرها ويذرها معلقة .

● أن يتعلم الرجل العلم ، ويدعو الناس عائبًا عليهم تقصيرهم ، مغلظًا عليهم في القول ، سائقًا إياهم بعصا التهديد والوعيد ، ويعجب زمانه وأهل زمانه ، ثم يكون هو في نفسه غير ملتزم ، فلا يأتمر بما يأمر به ، ولا ينتهي عما ينهى الناسَ عنه .

● أن تنفق الدولة على الشاب حتى يستوي عوده ، ويكتسب خبرة ومعرفة ، فإذا ما حان حينُ القطاف ، ذهب بعيدًا يعطي خيره وخبرته لمن لم ينفق عليه ، ولم يرتقب منه نفعًا .

● أن يكون الرجل في تعامله جافًا غليظًا ، خصامُه قريب ، وصفاؤه بعيد ، يتهجم في كلامه ، ويشتط في خصامه ، ثم يعيب على الناس أنهم متباعدون عنه ، جافون لصحبته ، قالون لمحاورته .

صور من التطفيف نقع فيها ، ولو طهرنا قلوبنا منها لكان خيرًا وأهدى سبيلاً .

كتب المؤلف

- التلفزيون : السم اللذيذ .
- اليسار الإسلامي : خنجر في ظهر الإسلام .
- خواطر منافق : (مسرحية شعرية) .
- مذكرات ذئبة : أوراق من الأدب الإسلامي .
- مكانك تحمدي : رسائل إلى الأخت المسلمة .
- في فقه الواقع : رسائل إلى الإسلاميين .
- العقلانية : النبوة الكاذبة .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
مقدمة : للشيخ صلاح أبو إسماعيل رحمه الله	٧
مقدمة المؤلف	٩
تخلفنا .. وصناع الأكاذيب	١١
عمامة نابليون	١٦
الإسلام الثورى	٢١
ابن حجر وابن زلط	٢٤
مرض اسمه العقلانية	٢٨
الفقه البدوى	٣٣
السادة الشقر (١)	٣٧
السادة الشقر (٢)	٤١
بوش والحجر الأسود	٤٥
معاهدة كف الألسنة	٥١
الجرباويون (١)	٥٥

الموضوع	الصفحة
الحرباويون (٢)	٥٨
خميس المراشدى	٦١
ليالى حسن البنا	٦٦
فقهاء البلاط	٧٠
جاهليتان	٧٥
فقه الخمس نجوم	٧٩
فقه المعركة	٨٣
بروتوكولات حكماء الإسلام	٨٧
فارس أحلام الصحوة	٩١
كى هال هى	٩٥
القرداتية	٩٩
همجية حتى العظم	١٠٣
الأبيض والأسود	١٠٨
يوسف العظم والكرافتة	١١١
الخلاف الحميد	١١٤
الكلف والتلف	١١٨
سلف وخلف	١٢١
هكذا يفكرون	١٢٥

الموضوع	الصفحة
العقل الإسلامى فى المزاد	١٢٧
حمقى	١٣١
الحق الداحض	١٣٤
حب المصطفى ﷺ	١٣٨
احترموا عقولنا	١٤١
تشويه العرب بالانشغالات التافهة	١٤٥
الشيخ لعبوط (١)	١٥٠
الشيخ لعبوط (٢)	١٥٤
مطففون	١٦٠

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٣٤٩ / ١٩٩١

الترقيم الدولى I.S.B. N - 977 - 00 - 2467 - 8